

جمهورية مصر العربية

وزارة الأوقاف

الأمن المجتمعي

تقديم ومشاركة

أ. د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

القاهرة

١٤٤٣هـ /٢٠٢١م



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْـتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}

(هود : ٨٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديــــــم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعــــد :

فإن الأمن نعمة من أعظم نعم الله (عز وجل) على خلقه ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا" .

ولا يمكن أن يتحقق أمن الفرد بمعزل عن أمن المجتمع ، فأمن الدول عملية تكاملية تشاركية بين جميع أبنائها ، حيث لا يمكن لأي منهم أن يوفر الأمن لنفسه وأسرته بمعزل عن أمن المجتمع ، فهناك حماية الحدود ، وحماية الدولة من الأعداء ، وحماية الأمن الداخلي ، وحماية المال والعرض ، وحماية المرافق العامة .

وهناك لون من ألوان الحماية لا يقل أهمية عن كل ما ذكر ، وهو الحماية الاجتماعية التي تقوم على التكافل والتراحم ، وقد عني ديننا الحنيف أيما عناية بهذا الجانب الإنساني ، ففرض الزكاة ، وحث على الصدقات ، وشرع الوقف وشجع عليه ، حيث يقول الحق سبحانه : {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ

والله يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ والله وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(البقرة : ٢٦١) ، ويقول جل وعلا: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ الله قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً والله يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}(البقرة: ٢٤٥)، ويقول سبحانه: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ}(آل عمران: ٩٢)، ويقول سبحانه:{وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}(البقرة: ٢٧٢)، ويقول سبحانه: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}(سبأ: ٣٩) ، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ " حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي الْفَضْلِ.

ويتناول هذا الكتاب بما يضمه من بحوث قَـيِّمة قضية الأمن المجتمعي تناولًا علميًّا رصينًا ، حيث يضم نخبة مختارة من بين أهم البحوث التي قُدِّمت لمؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في دورته العشرين ، وكان تحت عنوان : " الأمن المجتمعي في الإسلام " ، مع نسبة كل بحث منها إلى

كاتبه بمنتهى الأمانة العلمية ، وشرفت بأن شاركت هذه النخبة العظيمة من العلماء في هذا الكتاب بمبحث بعنوان : "حديث القرآن الكريم عن الأمن" ، سائلين المولى (عز وجل) أن يتقبل هذا العمل ، وأن يجزي كل من أسهم فيه ببحث ، أو جهد ، أو تنظيم لذلكم المؤتمر ، أو أشرف عليه خير الجزاء.

والله من وراء القصد وهو الموفق والمستعان.

أ.د/ محمد مختار جمعة
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

حديث القرآن عن الأمن (*)

إن نعمة الأمن من أجلِّ النعم التي امتن الله (عز وجل) بها على عباده ، حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ* إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾(١)، ويقول عز وجل: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آَمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢)، ويقول سبحانه : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آَمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ﴾(٣)، ويقول سبحانه : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآَوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٤).

وقد ربط القرآن الكريم بين الرزق والأمن في مواضع عديدة ، منها قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ

(*) أ.د/محمد مختار جمعة مبروك ، وزير الأوقاف، رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

(١) قريش: ١-٤ .

(٢) القصص:٥٧ .

(٣) العنكبوت:٦٧ .

(٤) الأنفال: ٢٦ .

مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١)، فلما كانت القرية آمنة مطمئنة يتعاضد أبناؤها في الحفاظ على أمنها كان يأتيها رزقها رغدًا وفيرًا هانئًا من كل مكان ، فلما كفرت بأنعم الله عليها وجحدتها أذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٢) .

وهذا أبو الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) يدعو ربه أن يجعل لآله وذريته حرمًا آمنًا ، وأن يرزق أهله من الثمرات ، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (٣)، ويقول سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(٤).

ويذكرنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) ببعض نعم الله (عز وجل) علينا ،

---

(١) النحل : ١١٢ .

(٢) النحل : ١١٨ .

(٣) البقرة : ١٢٦ .

(٤) إبراهيم : ٣٥-٣٧ .

فيقول (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا "[1]، على أن النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي لا ينطق عن الهوى قد قدم نعمة الأمن على نعمتي الصحة والرزق للتأكيد على أهمية هذه النعم وضرورة الحفاظ عليها ، وعبر (صلى الله عليه وسلم) بالأمن في قوله : "آمِنًا فِي سِرْبِهِ" للتأكيد على الحفاظ على نعمة الدار حتى لو كان في مجرد سرب أو شق أو نفق.

فالعلاقة بين الأمن والرزق وتوفير المناخ الملائم للاستثمار والعمل والإنتاج علاقة طردية ، فمتى تحقق الأمن والأمان والاستقرار تبعه النمو والاستثمار والعمل والإنتاج واتساع أسباب الرزق ، ومتى كانت الحروب ، أو التطرف والإرهاب ، والتخريب والتدمير ، والفساد والإفساد ، كان الشتات والفقر ومشقة العيش وصعوبة الحياة .

وقد ربط القرآن الكريم - أيضًا - بين الأمن والإيمان ، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [2] ، ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ

(١) سنن الترمذي ، أبواب الزهد ، بَابٌ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى الله ، حديث رقم : ٢٣٤٦ .

(٢) الأنعام : ٨٢ .

خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ (١).

وقد حرَّم ديننا الحنيف كل ما يهدد أمن الناس وحياتهم ، لدرجة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نفى الإيمان – سواء أكان نفيًا لأصل الإيمان ، أم لكماله ، على اختلاف المجتهدين في المقصود من معمول النفي – عن كل من يهدد أمن الناس وسلامهم ، فقال (صلى الله عليه وسلم): " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ "(٢)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ "(٣)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ"(٤). وفي رواية : قَالُوا: وَمَا بَوَائِقُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ ؟ قَالَ:"غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ" (٥)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : ".. تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ

(١) سبأ:١٥-١٨ .

(٢) سنن الترمذي ، أبواب الإيمان ، بَابُ مَا جَاءَ فِي أَنَّ الْمُسْلِمَ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، حديث رقم: ٢٦٢٧ .

(٣) مسند أحمد جـ ١٩ /ص ٣٧٦ ، حديث رقم : ١٢٣٨٣ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، بَابُ إِثْمِ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ ، حديث رقم: ٦٠١٦ .

(٥) مسند أحمد ، جـ ٦ / ص ١٨٩ ، حديث رقم : ٣٦٧٢ .

فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ "[1].

وقد نهى الإسلام عن كل ألوان الفساد والإفساد ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [2]، ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [3]، ويقول سبحانه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَّ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْـحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَالله لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَّ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [4]، ويقول (عز وجل) : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ الله فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [5].

وإذا استطاع أحد أن يخدع بعض الناس بعض الوقت ، فمن المستحيل أن يخدع كل الناس كل الوقت ، وعلى كل منَّا أن يتذكر دائمًا أنه سيقف يومًا بين يدي من لا يغفل ولا ينام ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَى أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ، حديث رقم: ٨٤.

(٢) الأعراف: ٥٦ .

(٣) هود: ٨٥ .

(٤) البقرة : ٢٠٤-٢٠٦ .

(٥) محمد : ٢٢-٢٤ .

مَسْئُولُونَ ﴾ (١)، ويقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الله غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾(٢) ، ويقول سبحانه: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ الله سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣).

والحفاظ على نعمة الأمن والأمان يحتاج منا إلى أمرين : أحدهما: شكر الله (عز وجل) عليهما ، حيث يقول سبحانه : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (٤)، والشكر ليس في المال فحسب ، وإنما في سائر النعم .

الأمر الآخر: هو وحدة الصف ، وتضافر جهود جميع مؤسسات الدولة من جيش، وشرطة، وقضاء ، وأسرة ، وتعليم ، ومؤسسات دينية ، وثقافية، ومدنية ؛ ليتحقق الأمن لكل أبناء المجتمع بجهودهم متضامنين ، وإدراك حجم التحديات التي تواجهنا، والأخذ بقوة على أيدي دعاة القتل ، والاغتيال ، وسفك الدماء ، والفوضى، والتخريب ، مع تأكيدنا أن كل من يسلك هذه المسالك الخبيثة ينبغي أن يحاكم بتهمة الخيانة العظمى للوطن ، لأن هؤلاء الخونة والعملاء هم الأخطر على أمن الوطن واستقراره ، وهم

(١) الصافات:٢٤ .

(٢) إبراهيم:٤٢-٤٣ .

(٣) غافر:١٧ .

(٤) إبراهيم:٧ .

لسان حال أعدائه ، ويدهم الطولى في الإفساد والتخريب ، فهم يأكلون طعامنا ، ويلبسون ثيابنا ، ويطعنوننا في ظهورنا ، وهم عيون أعدائنا ، إذ لا يمكن للإرهاب أن يخترق أيّ دولة أو مجتمع إلا في ظل حواضن تستقبله وتأويه ، وتوفر له المناخ الملائم لإثارة الفوضى .

ولنا في الحاضر من حولنا عبرة ومتعظ بحال تلك الدول التي سقطت في براثن الفوضى ، والتفكك ، والتشرذم ، والتمزق ، ما بين لاجئ متعرض لمخاطر لا تعد ولا تحصى ، وبين مشرد ، ومعتقل ، ومحاصر ، أو شهيد ، أو قتيل ، أو مصاب ، أو مقعد ، أو مشوَّه ، أو عاجز ، حيث رأينا الإرهابيين المجرمين يستغلون حالة الفوضى والتفكك هذه ، ويتجاوزون كل حدود الإنسانية في الفتك والتنكيل بالبشر من الحرق ، والسحل ، والاغتصاب ، والاستعباد ، وحمل الناس على حفر قبورهم بأيديهم ، مما يدعونا وبقوة إلى الحفاظ على ما أنعم الله (عز وجل) به علينا من أمن وأمان واستقرار ، مدركين أن جزاء من يحافظون على أمن المجتمع وأمانه عظيم عند الله (عز وجل) ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ" [1].

* * *

(١) سنن الترمذي ، أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، باب فضل الحرس في سبيل الله ، حديث رقم ١٦٣٩ .

دور الإيمان في تحقيق الأمن المجتمعي(*)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه ، وبعـــد :

فإن علاقة الأمن بالإيمان، والسلام بالإسلام ، علاقة وثيقة تبدأ منذ اتحاد الجذر اللغوي، وهو ما أشار إليه ربنا سبحانه في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(١)، وصرح به النبي ﷺ حيث قال: " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ »(٢).

ويُعَدُّ الإيمان أعظم طريق لإقرار السلام الاجتماعي ؛ حيث إن الإيمان عقد قلبي ، ومن المسلَّم به حتى في علم الاجتماع أن الممارسات البشرية والعلاقات الاجتماعية المنبثقة عن الاعتقادات أكبر فاعلية وتأثيرًا وأقدر على الدوام والاستمرار مِن تلك التي ليست كذلك .

والأمن والسلام في الإسلام مبدؤهما من داخل الإنسان لا من خارجه؛ فمتى ما كان الإنسان هادئ البال مستقر المشاعر مطمئن الفؤاد كان آمنًا؛ وإن

(*) أ.د/علي جمعة محمد عبد الوهاب ، عضو هيئة كبار العلماء ، ومفتي الجمهورية السابق .

(١) الأنعام: ٨٢.

(٢) مسند أحمد: جـ ١٤ /ص٤٩٩ ، حديث رقم: ٨٩٣١ ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د /عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط مؤسسة الرسالة .

كانت الأمور تموج من حوله والأحوال تضطرب قريبًا منه، بل الأكثر من ذلك أنه يُفِيض على مَن حوله الأمن والسلام والطمأنينة بقدر ما يَعتَمِل[1] في نفسه من سكون وأمان واطمئنان.

والأمن يطَّرِد مع الإيمان وجودًا وعدمًا وزيادة ونقصانًا، ولذلك يقول القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[2]؛ فالإيمان بالله تعالى هو الذي يحقق الأمن الداخلي، والأمنُ الداخلي ينعكس على أمن الشخص الخارجي، ومن ثَمَّ على أمن المجتمع الخارجي.

والأمن في الإسلام ركنٌ ركينٌ يُشَكِّلُ المحورَ الأساسَ في مقاصد الشرع؛ فإن المقاصد الشرعية التي هي حفظ النفس والعقل والدين والوطن والعرض والمال تتغيَّا كلها توفيرَ الأمنِ والأمانِ للمكلَّف حتى يستطيعَ أن يقومَ بما كلفّه اللهُ تعالى به من عبادةٍ وعمارةٍ وتزكيةٍ على الوجه الذي يحقق مرادَ الله تعالى مِن خلقه، ومن النصوص القرآنية الصريحة في الربط بين الإيمان والسلام المجتمعي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا

---

(١) اعتملت المشاعرُ في داخله: ثارت واضطرمت . معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور/أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، مادة عمل . ط عالم الكتب ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٢) الأنعام: ٨٢.

جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١)، على تفسير السِّلم بالسلام، وهو الموافق لظاهر الآية(٢)، فقد أمر الله تعالى - مَن تحقق فيهم وصفُ الإيمان- بالدخول في كل مظاهر السلام - بكل ما تحويه هذه الكلمة من معنى- وجعل الخروج عن شيء منها نوعًا من الزلل الناتج عن اتباع خطوات الشيطان ووساوسه .

ويعرِّف النبي ﷺ (الإيمان) بأنه: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ »(٣). وليكن هذا الحديث الشريف هو مدخلنا إلى الكلام عن دور الإيمان في تحقيق السلام والأمن المجتمعي، وذلك كما يلي:

أولًا: الإيمان بالله تعالى: هو كبرى اليقينيات الكونية، وهو الحقيقة المطلقة التي لا يمكن للإنسان أن يستغني عنها، والدين يعلمنا أن الله تعالى اسمه «السلام»،

(١) البقرة: ٢٠٨، ٢٠٩.

(٢) قال الطبري: وَقَدِ اخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْحِجَازِ: (ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ) بِفَتْحِ السِّينِ. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ بِكَسْرِ السِّينِ. فَأَمَّا الَّذِينَ فَتَحُوا السِّينَ مِنَ «السَّلْمِ» ، فَإِنَّهُمْ وَجَّهُوا تَأْوِيلَهَا إِلَى الْمُسَالَمَةِ، بِمَعْنَى: ادْخُلُوا فِي الصُّلْحِ وَالْمُسَاوَمَةِ وَتَرْكِ الْحَرْبِ . وَأَمَّا الَّذِينَ قَرَأُوا ذَلِكَ بِالْكَسْرِ مِنَ السِّينِ فَإِنَّهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي تَأْوِيلِهِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يُوَجِّهُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، بِمَعْنَى ادْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ كَافَّةً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُوَجِّهُهُ إِلَى الصُّلْحِ، بِمَعْنَى: ادْخُلُوا فِي الصُّلْحِ.(تفسير الطبري ٤ /٢٥٣، مؤسسة الرسالة ، تحقيق: أحمد شاكر).

(٣) صحيح مسلم ، كِتَابُ الْإِيمَان ، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ ، والقَـدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ ، حديث رقـم :١، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

فيقول تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]، وأن هذا الاسم من صفات الجمال التي أُمِرنا أن نتخلق بها، مثل: الرحمن ، الرحيم ، السلام ، المؤمن ، الغفار ، الوهَّاب ، وصفات الجمال للتخلُّق، كما أن صفات الجلال للتعلُّق[2]، ويعلمنا النبي ﷺ كيف نحيا في نور هذا الاسم الكريم لنجعل من العقيدة الإيمانية ممارسة عملية وتطبيقًا فعليًا في كل مناحي الحياة ، ومن ذلك ما يلي:

١ - جعل السلام هو تحية الإسلام، وأمرنا بإفشاء السلام الذي يقتضيه هذا الاسم الإلهي، فيقول: ﷺ: «إِنَّ السَّلاَمَ اسْمٌ مِن أَسْمَاءِ الله تَعَالى وَضَعَهُ اللهُ في الأَرْضِ، فَأَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»[3]، كما يدلنا على أن السلام هو طريقُ التحابِّ بين الناس لكي يكمل إيمانهم ويدخلوا الجنة، فيقول ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

(١) الحشر: ٢٣.

(٢) الصفات الذاتية: هي ما يوصف الله بها، ولا يوصف بضدها، نحو القدرة والعزة والعظمة، وغيرها، والصفات الفعلية: هي ما يجوز أن يوصف الله بضده، كالرضا والرحمة والسخط والغضب، ونحوها، والصفات الجمالية هي: ما يتعلق باللطف والرحمة، والصفات الجلالية : هي ما يتعلق بالقهر والعزة والعظمة والسعة. (التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، المتوفى: ٨١٦هـ)، ص١٣٣. ط دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

(٣) الأدب المفرد للبخاري ، باب السلام اسم من أسماء الله ، حديث رقم : ٩٨٩، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٩ – ١٩٨٩.

لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُموهُ تَحَابَبْتُمْ؛ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»(١).

٢ - أخبرنا ﷺ أن الإنسان لا يستكمل الإيمان إلّا ببذل السلام للعالَم، والعالم: اسم لِمَا سوى الله تعالى، وهذا يشير إلى أن المسلم يجب أن يكون مصدر سَلاَمٍ لكل المخلوقات، حيث رُوِي عن عمّار بن ياسر (رضي الله عنه) أن الرسول الكريم ﷺ قال: « ثَلَاثٌ مِنَ الْإِيمَانِ: الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ ، وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ»(٢).

٣- يجعل الرسول الكريم ﷺ بذل السلام من خير توجيهات الإسلام، فيقول لمن سأله: أي الإسلام خير؟: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْت وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»(٣).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، وَأَنَّ مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ إِفْشَاءَ السَّلَامِ سَبَبًا لِحُصُولِهَا ، حديث رقم: ٥٤.

(٢) مسند البزار "البحر الزخار "لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ) ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، حديث رقم: ١٣٩٥. ط مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة . وأخرجه البخاري في صحيحه موقوفًا على عمار ، كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام وقَالَ عَمَّارٌ: "ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ" ، ط دار طوق النجاة ، الأولى، ١٤٢٢هـ

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، إِطْعَامُ الطَّعَامِ مِنَ الإِسْلاَمِ ، حديث رقم: ١٢، وباب إِفْشَاءُ السَّلاَمِ مِنَ الإِسْلاَمِ ، حديث رقم: ٢٨، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ تَفَاضُلِ الْإِسْلَامِ، وَأَيُّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ ، حديث رقم: ٣٩.

٤ - يحرص الإسلام على أن يسود الوئام والوفاق بين أفراد المجتمع، فيحرم الهجر والقطيعة بين الناس، ويجعل خير طرفي النزاع هو الذي يبدأ منهما بالسلام، فيقول: « لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ »[1]، ويُبين ﷺ أن المبادر بالسلام هو أولى الناس بالله تعالى؛ لزيادة تحققه بهذا الاسم الكريم، فيقول ﷺ: « إنَّ أولى النَّاسِ بالله مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلام »[2]، ويصف في المقابل من بخل بالسلام بأنه أبخل الناس؛ لأنه بخل بما لا يكلفه غرما، فيقول ﷺ: " إِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ فِي الدُّعَاءِ، وَإِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلَامِ»[3].

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الهجرة، حديث رقم: ٦٠٧٧، وكتاب الاستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، حديث رقم: ٦٢٣٧، وصحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْهَجْرِ فَوْقَ ثَلَاثٍ بِلَا عُذْرٍ شَرْعِيٍّ، حديث رقم: ٢٥٦٠.

(٢) سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - مُحَمَّد كامِل قره بللي ، كتاب الأدب ، باب في فضل من بدأ السلام ، حديث رقم: ٥١٩٧ ، ط دار الرسالة العالمية ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

(٣) الدعاء للطبراني لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ، ١٤١٣هـ.، ص: ٣٩ ، حديث رقم: ٦٠، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى . وشعب الإيمان لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، الحادي والستون من شعب الإيمان وهو باب في مقاربة أهل الدين و موادتهم و إفشاء السلام بينهم، حديث رقم: ٨٣٩٢. تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٠.

كما جعل النبي ﷺ السلام أول مدخل من مداخل الدعوة إلى الله تعالى، فيحدثنا عبد الله بن سلام - وكان من كبار أحبار اليهود قبل أن يسلم - ويقول: لمَّا قدم النبي ﷺ المدينة انجفل[1] الناس قِبَلَه وقيل: قد قدم رسول الله، قد قدم رسول الله، قد قدم رسول الله، فجئت في الناس لأنظر، فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعتُه تكلم به أن قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ »[2].

٥- وجعل الإسلام السلام هو الوجه الذي يستقبل المسلم به الناس عند فراغه من العبادة والمناجاة بينه وبين ربه حين يختم صلاته بالتسليم، بل ويجعله أيضًا في الأذكار التي تلي الصلاة؛ حيث كان ﷺ إذا فرغ من صلاته قال: «اللهمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ ذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ»[3]، كما يرسم لنا الشرع الشريف منهج التعامل مع الآخر من خلال هذا الاسم الإلهي الكريم .

٦- كما يبين لنا الإسلام أن الأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو (التعايش) و(السلام)، وليس القتال والصدام ؛ حيث يقول تعالى: ﴿وَإِن

---

(١) انجفل الناس قِبَلَه: أي ذهبوا مسرعين إليه. تحفة الأحوذي لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ٧/ص١٥٨.

(٢) سنن ابن ماجه: كِتَابُ الْأَطْعِمَةِ ، بَابُ إِطْعَامِ الطَّعَامِ ، حديث رقم: ٣٢٥١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَبَيَانِ صِفَتِهِ، حديث رقم: ٥٩١.

جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[2].

٧- كما يأمر الحق سبحانه وتعالى حبيبه ﷺ بأن يصفح عن غير المؤمنين ويخاطبهم بالسلام؛ حفاظًا على المجتمع البشري، فيقول سبحانه: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[3]، كما ينهى المسلمين عن أن ينجرُّوا إلى الصدام مع المغرضين والمتعصبين من غيرهم أو حتى مقابلة السيئة بالسيئة، بل يأمر بالصفح والعفو؛ حفاظًا على السلام المجتمعي والنظام العام، وفي ذلك يقول جل شأنه:﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[4] ، كما ينهى عن الدخول في مجادلات كلامية أو تلاسنات تجر إلى العداء ، وأمر عند الجدال مع المخالفين في الرأي أو العقيدة أن يكون ذلك الجدال بالتي هي أحسن ، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا

---

(١) الأنفال: ٦١.

(٢) الممتحنة: ٨.

(٣) الزخرف: ٨٨ ، ٨٩.

(٤) فصلت: ٣٤ .

أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[1]، وبهذا التوجيه القرآني أغلق أخطر باب يمكن أن يجر إلى العداء ويبدد أجواءالسلام .

٨- ذكر المولى عز وجل من صفات عباد الرحمن أنهم يقابلون بهذا الاسم (السلام) من يجهل عليهم؛ فيقول تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾[2]، ويقول جل شأنه:﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[3].

٩- وينهانا القرآن الكريم عن منع الأمان ممن يمدُّ إلينا السلام، فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[4]، وذلك على قراءة اسم المفعول من (مؤمَنًا)، وهي قراءة من القراءات العشر المتواترة ، قرأ بها عيسى بن وردان عن أبى جعفر المدني، وإن كان معنى القراءتين واحد ، لأن الأمان مطلوب لغير المؤمن مثل ما هو مطلوب للمؤمن .

(١) العنكبوت: ٤٦ .
(٢) الفرقان: ٦٣.
(٣) القصص: ٥٥.
(٤) النساء: ٩٤.

والمؤمن لا يتعامل بمنهج السلام مع الإنسان فقط بل يتعداه إلى التعامل به مع الأكوان؛ لأنها كائنات تُسَبِّحُ لله تعالى وتسجد له سبحانه، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾(1)، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، والنبي ﷺ يُعَلِّمنا أن الكائنات تحبنا لأننا نسبح الله تعالى كما تسبحه هي؛ فيقول (صلى الله عليه وسلم) : «أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»(2)، ويخبر أن أبواب السماء التي يصعد منها عمل المؤمن تبكي عليه إذا مات(3)، هذا بالإضافة إلى أوامره الشريفة ﷺ بالرفق بالحيوانات ورحمتها، ونهيه عن إرهاقها ، أو تحميلها فوق طاقتها ، أو تعذيبها ، أو المثلة بها، وفهم المسلمون هذه المعاني العميقة وأحسنوا تطبيق هذه الآداب النبوية الرفيعة؛ حتى وصلوا إلى مستوى من التعامل مع الحيوانات لم تعرف له حضارات الدنيا مثيلًا في توازنه وانضباطه.

---

(1) الإسراء: ٤٤.

(2) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، بَابُ خَرْصِ الثَّمَرِ ، حديث رقم:١٤٨٢ ، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب أُحد جبل يحبنا ونحبه، حديث رقم: ١٣٩٢.

(3) مسند أبي يعلى هو: أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ) ، تحقيق: حسين سليم أسد ، جـ ٧ /ص١٦٠ ،حديث رقم: ٤١٣٣، ولفظه:" مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ فِي السَّمَاءِ بَابَانِ: بَابٌ يَدْخُلُ عَمَلُهُ، وَبَابٌ يَخْرُجُ فِيهِ عَمَلُهُ وَكَلَامُهُ، فَإِذَا مَاتَ فَقَدَاهُ وَبَكَيَا عَلَيْهِ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ}[الدخان: ٢٩]، ط دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.

ثانيًا: الإيمان بالملائكة: أمرنا الله تعالى به في كتابه الكريم، وبيَّن أن الإيمان بالملائكة مما آمن به الرسول ﷺ والمؤمنون، فقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[1]، ويصف مَن عاداهم بالكفر ويجعل ذلك عداوة له سبحانه، فيقول: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لله وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

وآيات القرآن الكريم تشير إلى أنّ تَنَزُّل الملائكة مرتبط بالسلام والبُشرى والرحمة، ويكفينا مِن ذلك قولُه تعالى عن نزول الملائكة في ليلة القدر: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[3].

كما يخبرنا الشرع الحنيف أن الملائكة تَرُدُّ عن المسلم ما دام لا يدفع السيئة بالسيئة، وتُدافِع عنه وتُؤيِّده، وفي هذا حماية للمجتمع من البذاءة وسوء القول، وقطع لدابر التناوش والتنابز بالألفاظ؛ وما يزرعُه ذلك من الإحن والبغضاء بين أفراد الجماعة الواحدة ، وهذا مدخل مهم مِن مداخل السلام المجتمعي بين أفراد المجتمع.

---

(١) البقرة: ٢٨٥.

(٢) البقرة: ٩٨.

(٣) القدر: ٤ - ٥.

ثالثًا: الإيمان بالكتب السماوية: أمر الله تعالى حبيبه المصطفى ﷺ أن يصرح بإيمانه بكل ما أنزله الله تعالى من الكتب في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾[1]، ويجعل ذلك من صفات عباده المتقين في قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[2]، ويجعل جحوده منافيًا للإيمان به سبحانه، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[3].

ويبين القرآن الكريم لنا كيف يكون الإيمان الصادق بالكتب السماوية عاملاً مهمًّا من عوامل الاستقرار والسلام المجتمعي ومانعًا من الشقاق والفتن، ومن ذلك ما يلي:

(١) يصف القرآن الكريم بالهدى والصواب مَن آمن بكل كتب الله تعالى التي أنزلها على رسله، ويجعل التولي عن ذلك من أسباب الشقاق التي تُؤَثِّر سلبًا على السلام المجتمعي ، فيقول سبحانه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ

---

(١) الشورى: ١٥.

(٢) البقرة: ٤.

(٣) النساء: ١٣٦.

وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٦ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّ إِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1].

(٢) يبين أن الكتاب المنزل نسيج واحد ، ولُحمَة واحدة ، وأنه لا يؤخذ أبعاضًا؛ يؤمن الناس بما يشتهون منه ويتركون ما لا يوافق هواهم ، وأن كثيرًا من مظاهر الإفساد في الأرض والإرجاف فيها ناجم عن هذه النفسية التي يحركها الهوى فتؤمِن بما لها وتكفر بما عليها ، فيقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝٨٤ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2].

(٣) يبين الله تعالى أنه أنزل موازين العدالة الاجتماعية في كتبه السماوية بما يكفل للناس العيش في سلام وعدل إذا قاموا بها، فيقول تعالى:﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[3]، كما

---

(١) البقرة: ١٣٦، ١٣٧.

(٢) البقرة: ٨٤، ٨٥.

(٣) الحديد: ٢٥.

يبين سبحانه أن إقامة الحياة على منهاجه الذي أنزله في كتبه يحدث الرخاء المجتمعي والرغد المعيشي، فيقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾[1].

ومن خلال المساحات المشتركة من الإيمان بالكتب المنزلة يرسخ الإسلام قاعدة السلام المجتمعي بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى.

رابعًا: الإيمان بالأنبياء والرسل: إنَّ استلهام مناهج الأنبياء والرسل في فهم نصوص الكتب المقدسة التي أنزلها الله تعالى عليهم هو السبيل لتحقيق الأمن والسلام المجتمعي، والتمتع بجميل ثماره، ونيل سعادة الدارين التي أرادها الله تعالى لخلقه، وإلى هذا يشير أمر الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[2].

والإسلام يعلمنا أنَّ دين الله تعالى نسق واحد متكامل، وأنّ الإيمان بجميع الأنبياء ركن في الإيمان وواجب؛ لأن الكل مِن عند الله، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ

(١) المائدة: ٦٦.

(٢) الأنعام: ٩٠.

يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[1]؛ ولذلك كان المصطفى ﷺ كثيرًا ما كان يصرح بأنه ﷺ وجميع أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام من مشكاة واحدة ، فيقول: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ»، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: « الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ[2]، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ » [3]، فيجب على الإنسان أن يؤمن بكل أنبياء الله ورسله، مَن عَرَفَهم ومَن لم يعرفهم، حتى قال العلماء في جواب من سُئِل عن شخص لم تُعرَف نبوتُه مِن عدمها: آمنتُ به إن كان نبيًّا، وذلك من أعظم عوامل السلام المجتمعي بين أصحاب الديانات السماوية.

خامسًا: الإيمان باليوم الآخر والقدر خيره وشره: وهذا مما لا شك فيه يورث طمأنينة في النفس وسلامًا في المعاملات، تسليمًا بقدر الله وقضائه، واعترافًا بالحكمة الإلهية والعدل الإلهي ، وحتى يطمئن الجميع أن مرجع الأمر إليه، وأن كل إنسان سينال جزاءه عنده يوم القيامة، فلا تظلم نفس شيئًا، ولا يفلت مذنب بجريمته، وأنه إليه سبحانه تُرجع الأمور.

كما تتجلى مكانة السلام المجتمعي وأهمية دوره في تحقيق الأمن المجتمعي

---

(١) النساء: ١٥٠ - ١٥٢.

(٢) العَلَّةُ: المَرَّةُ من عَلَّ، أي الشربة الثانية؛ أو الشرب بعد الشرب تباعا ، وبنو العلاّت، أي بنو أمّهات شتى من رجل واحد، وكأن أبوهم شرب من الأولى وعل من الثانية ، يقابلهم بنو الأخْياف وهم من أمٍّ واحدة وآباء مختلفين ،والأنبياء أولاد عَلاّتٍ أي إيمانهم وعقائدهم واحدة وشرائعهم مختلفة.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، بَابُ فَضَائِلِ عِيسَى (عليه السلام) ، حديث رقم: ٢٣٦٥.

في المواقف العطرة من السيرة النبوية الشريفة لأعظم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، وفي تطبيقه للوحي الكريم الذي أنزله الله تعالى عليه، كيف لا وقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، فقال في حقه (صلى الله عليه وسلم): ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (١).

والمتأمل في السيرة النبوية المطهرة يرى تطبيقَ ذلك واضحًا في تصرفات المصطفي ﷺ مِن مِثلِ امتناعه ﷺ مِن قتال المشركين بمكة ، ولَمَّا قال له العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري في بيعة العقبة الثانية: «والله الذي بعثك بالحق إنْ شئتَ لَنَمِيلَنَّ على أهل مِنًى غدًا بأسيافنا»، قال له النبي ﷺ: «لَمْ أُومَرْ بِذَلِكَ»(٢).

وكذلك تأسيسُه ﷺ لمعنى المواطنة وحرصه على السلام المجتمعي مِن خلال معاهدته مع اليهود بالمدينة، ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، وذلك كله تشييدًا للدولة الإسلامية الوليدة على أسس ثابتة من الاستقرار والأمن واستتباب النظام.

وتتجلَّى النفسية النبوية المبادِرة إلى الوفاق والمحبة للسلام وتركِ الخلاف والحريصة على تأليف القلوب في المدينة المنورة في حُبِّه ﷺ موافَقَةَ أهلِ الكتاب فيما لم يُؤمَرْ فيه بشيء ، كما في حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) في

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) مسند أحمد، جـ٢٥ /ص٩٤ ، حديث رقم: ١٥٧٩٨.

الصحيحين[1]، وأنه صبر على كل ما صدر منهم مِن الجحود والتكذيب والمكائد ، ممتثلاً في ذلك قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، حتى وقعوا في جريمة الخيانة العظمى للدولة الإسلامية، وأصبحوا حينئذٍ يمثلون خطرًا يهدد السلام المجتمعي والأمن القومي، فكان إجلاؤهم وعقابهم أمرًا ضروريًّا لا مناص منه للحفاظ على أمن الدولة وسلامتها.

ونراه ﷺ يوقع في صلح الحديبية المعاهدة مع المشركين ويقدم ذلك على القتال امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3]، وعندما يمتن سبحانه بتصديق رؤيا حبيبه

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، حديث رقم: ٣٥٥٨، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، بَابٌ فِي سَدْلِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) شَعْرَهُ وَفَرْقِهِ ، حديث رقم: ٢٣٣٦.ولفظ البخاري،" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ الله عَنْهُمَا)، «أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، كَانَ يَسْدِلُ شَعرَهُ، وَكَانَ المُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ، فَكَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَسْدِلُونَ رُءُوسَهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ، ثُمَّ فَرَقَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رَأْسَهُ".

(٢) البقرة: ١٠٩.

(٣) الأنفال: ٦١.

سيدنا محمد ﷺ بفتح الله تعالى على عباده بدخول حرمه وأداء نسكه، امتن عليهم بالأمان قبل أن يمتن عليهم بالعبادة، ولم يكتفِ بذلك حتى أعقبها بالامتنان بعدم خوفهم حينئذ حيث يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾(١)، وهذا يبين موقع الأمن والسلام من الشريعة الإسلامية.

ومن جوانب السلام في حياته ودعوته ﷺ أيضًا: السلام الوقائي للمجتمع وللدولة ؛ أما الأول: فيتمثل في إرساء دعائم الوقاية من التعدي على الأمن المجتمعي أو الخروج على نظمه ، وذلك باحترام حقوق الآخرين ، وأن يؤدي ما عليه قبل أن يطالب بما له، وأن يكون مسلمًا في سلوكه كما هو مسلمٌ في دينه ومعتقده ، وبهذا تُغلق أبواب التعدي على المجتمع ، وأما الثاني: فيتمثل في وضع العقوبات المقررة لارتكاب الجرائم ومنها: تشريع القصاص، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢)، والتي لم يكن النبي ﷺ يحابي فيها أحدًا، فالثاني يظهر في قوة الردع التي هي العامل الأساس في تحصيل السلام العادل بين الدول، والتي أمر الله تعالى بتوفيرها وتحصيلها في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم

---

(١) الفتح: ٢٧.

(٢) البقرة: ١٧٩.

مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾[1].

وختامًا.. فإن للإيمان دورًا عظيمًا في تحقيق السلام الاجتماعي والأمن المجتمعي، وإن جوانب السلام المجتمعي في حياة النبي ﷺ ودعوته الشريفة بحر لا ساحل له، وهو يحتاج إلى دراسات علمية رصينة متكاملة واسعة لتجلية هذا الجانب العظيم من أخلاقه الكريمة العطرة ﷺ، ومن مطلوبات الدين الحنيف الذي جاء به الشرع الشريف الذي دعا إليه ﷺ .

* * *

(١) الأنفال: ٦٠.

قيمة الأمن وأثر الإيمان والتقوى في تحقيقه(*)

يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(١)، هذه الآية الكريمة من سورة الأنعام تكشف أن الأمن مرتبط بالهداية والسير في الطريق المستقيم، لا سيما وأن الأمن نعمة من نعم الله التي امتن الله تبارك وتعالى بها على عباده، يقول جل شأنه: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾(٢).

لقد جاء التعبير في القرآن الكريم واضحا بامتنان الله تبارك وتعالى على عباده بنعمة الأمن والاستقرار، مما أثمر لهم الخير والنفع، فالأمن نعمة من أجلِّ النعم، والأمن ضروري كضرورة الطعام والشراب، ولذلك جاء ذكره في القرآن الكريم عديلًا للطعام الذي تدفع به غوائل الجوع والمسغبة، ومن هذا المنطلق القرآني الكريم نجد الرسول المصطفي ﷺ يذكرنا بنعمة الأمن، فيقول ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ

(*) سماحة الشيخ/السيد علي بن السيد عبد الرحمن الهاشمي، مستشار الدولة للشئون القضائية والدينية، الإمارات العربية المتحدة .

(١) الأنعام: ٨٢.

(٢) قريش: ١-٤.

يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا »[1]، ولقد جاء التنويه بنعمة الأمن في الحديث النبوي الشريف ليلفت الأنظار بها لهذه النعمة من مكانة كبرى في حياة الأحياء، كيف لا والسعادة لا تتم إلا حيث يحل الأمن والأمان.

إن الإيمان والتقوى يحققان الأمن المجتمعي ؛ لأن الإيمان هو إيقاظ الضمير الإنساني الذي يقود إلى الخير ويصد عن الشر، ولقد رسم الإسلام سياسة المجتمع البشري على أحكم خطة وأحسن تقويم، فقد جاءت الشريعة الإسلامية بمبادئ وأحكام ترمي إلى تدعيم بناء المجتمع ورقابته، وإلى علاج ما ينتابه من أمراض وعلل، وإلى ترسيخ مبادئ لو استمسك بها الناس لعاشوا في أمن ودعة، ولظلوا في رغد من العيش وبسطة من الهناء والنعيم، والغبطة والسعادة.

كما أن الإيمان - باعتبار أنه الإقرار بالحق، والاستمرار في العمل على مقتضاه بالتزام الطريق المستقيم الذي رسمه الله في كتبه، وبيَّنه على ألسنة رسله (عليهم السلام)- يكمل جانبه العملي في الإنسان بفعل الخير والصلاح، فمن حاد عن شيء في العقيدة أو في عمل الخير فقد اعوجَّ ومال عن الطريق المستقيم، وكثيرًا ما تحدث القرآن الكريم عن الاستقامة، فسورة الفاتحة التي هي أم الكتاب، والتي هي أول سورة كاملة نزلت من القرآن، والتي طُلِب قراءتها من المؤمنين في كل صلاة، تهتم - بعد إثبات الحمد لله

(١) سنن الترمذي، كتاب أبواب الزهد، بَابٌ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى الله ، باب منه ، حديث رقم: ٢٣٤٦.

والربوبية وملك يوم الدين له - بتوجيه المؤمنين إلى الدعاء، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم، وترشدهم إلى أنه طريق الحصول على نعمة الله المطلقة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾(١). كما أن سورة الأنعام تذكر أن اتباع شرع الله في التوحيد والخُلق الكريم والمعاملة الحسنة هو ما يأمر الله به، ويحذر من الإعراض عنه، يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(٢).

وقد جعل الله تعالى عقوبة من ينشرون الفزع بين الناس ، ويهددون أمنهم، أو ينهبون أموالهم ، أو يهتكون أعراضهم ، أو يسفكون دماءهم من أقسى العقوبات التي تنخلع من هولها القلوب، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٣).

هذا وقد حرص الدين الإسلامي على حماية الفرد والمجتمع ، رعاية لسلامة البلاد وأمن العباد ، فالمؤمن الحق هو من يحرص أشد الحرص على

---

(١) الفاتحة: ٦ -٧.

(٢) الأنعام: ١٥٣.

(٣) المائدة: ٣٣.

حقن الدماء وصيانة أرواح الناس، والقرآن الكريم يحدثنا عن أول اعتداء وقع من الإنسان على أخيه الإنسان بالقتل، في قول الله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[1]، ويصور لنا القرآن الكريم هذا الحادث المؤلم تصويرًا دقيقًا فيبين لنا أن القاتل والمقتول كل منهما كان يرى بمجرد عقله وتفكيره وبوازع من فطرته أن القتل جريمة بشعة، وظلم فادح ، واعتداء آثم موجب للندم ، مستوجب لغضب الله وعذابه وأليم عقابه، فالمقتول يقول في وداعة المؤمن وتسامح الكريم: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، والقاتل يعالج في نفسه الإقدام على هذه الجريمة المنكرة علاج الكاره لها والمتحرج من الوقوع فيها، يقول الله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[3]، ثم ينظر القاتل فيجد جثة أخيه بجواره هامدة لا حراك بها، فيقع في حيرة من أمره، وفيما يفعله بها؟ فعظمت حسرته، واشتدت ندامته، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ

(١) المائدة: ٢٧.

(٢) المائدة: ٢٨، ٢٩.

(٣) المائدة: ٣٠.

يُوَٰرِى سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾(١).

قص الله تعالى علينا هذه الجريمة وربط بها أول تشريع جنائي بالنسبة لبني آدم، فقال جل شأنه: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ﴾(٢).

وقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ أَوَّلًا»(٣)، والمراد أن النفس الواحدة كنفس كل البشر منذ أبينا آدم وحتى أخر الدنيا ، ولهذا توعد الله - تبارك وتعالى - قاتل النفس باللعنة والغضب ، وسوء المصير في الآخرة ، فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾(٤).

---

(١) المائدة: ٣١.

(٢) المائدة: ٣٢.

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّ ، بَابُ إِثْمِ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ ، أَوْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً ، حديث رقم: ٧٣٢١، صحيح مسلم ، كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ ، بَابُ بَيَانِ إِثْمِ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ ، حديث: ١٦٧٧ .واللفظ للبخاري .

(٤) النساء: ٩٣.

وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه)، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[1]، ثم إنه إذا وقع شيء من هذه الثلاث فليس لأحد من آحاد الرعية حتى ولو كان ولي الدم أن يقتله، وإنما ذلك إلى الحاكم أو نائبه، فوجب على العقلاء أن يقدروا نعمة الأمن ، وألا يدخروا وسعا في المحافظة عليه.

إن الأمن أساسه الإيمان العميق بقيم العدل والحق والسلام، وهو صنو الحياة، فلا معنى للحياة دونه، ولا استقرار للمجتمع إذا غاب، ولهذا امتن الله به على عباده في محكم التنزيل، وفي غيبة الأمن يسود الخوف والألم والقلق والحرمان في المجتمع، أما إذا ساد الأمن وألقى بردائه على الناس رحلت الدموع، واختفي الأنين، وزالت الأوجاع، وذهب الخوف والقلق، وتهيأ كل مخلوق للقيام بعمله وأداء دوره في الحياة.

إن الأجهزة الأمنية للدولة تقوم بما أمر الله تعالى بالقيام عليه وحفظه ورعايته ، ولهذا كان وجودها ضرورة لتوطيد الأمن، وحماية أفراد المجتمع، وحماية أموالهم ودمائهم وأعراضهم، وحماية الأموال العامة والمرافق العامة،

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قوله تعالى ﴿إن النفس بالنفس﴾، حديث رقم: ٦٨٧٨، صحيح مسلم، كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم، حديث: ١٦٧٦ واللفظ لمسلم.

وحماية الآداب والأخلاق، يحرسون الأطفال والشيوخ والنساء والفتيان والصبايا، وهم الأمناء على أمن الوطن وأمن الأسر وأمن الأفراد، وهم الضمانة القوية لاستقرار المجتمع، وهم اليد الرادعة للذين تسول لهم أنفسهم العبث بأمن المجتمع والخروج على قيمه، والخروج على القانون والنظام، يقول النبي ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[1].

ورجال الأمن الأمناء هم تلك اليد التي عناها النبي ﷺ، فهم اليد القوية لوقف المنكر وإزالته، وهم مظهر هيبة الدولة، والدعامة الأساسية للإصلاح، وهم القناديل المضيئة التي لا تخبو، بل تزداد البلاد بهم جمالًا وبهاءً وأمانًا، وينبغي أن يتعاون معهم جميع الناس لمحاربة أي بؤرة من بؤر الفساد والانحراف والجريمة في القبض على العابثين بمقدرات الأمة.

إن الأمن قيمة عليا من قيم المجتمع، وقد اعتبره الإسلام عنصرًا رئيسًا للاستقرار، في ظله ينعم المجتمع بالحياة والتقدم والازدهار والخير، ويتمتع جميع أفراده بالعيش الكريم.

* * *

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث: ٤٩.

الإيمان والعقل والسلوك(*)

يخاطب القرآن الكريم المؤمنين ويناديهم بما يظهر فيهم من وصف الإيمان في كثير من التوجيهات التي تتعلق بالمأمورات وبالمنهيات، كما يذكر الإيمان مرتبطًا بالعمل الصالح، ويخاطب الناس من خلال تذكيرهم بأنهم أصحاب عقول تفكر وتتدبر وتدرك أن من مقتضيات ذلك أن يكون هذا الإنسان العاقل على درجة كبيرة من الاستقامة في السلوك الأخلاقي الإنساني؛ لأنه ليس هناك انفصال بين السلوك الاعتقادي والسلوك الأخلاقي، وإنما إذا صح الاعتقاد صحت الأخلاق، وإذا فسد الاعتقاد فسدت الأخلاق، نرى ذلك واضحا كل الوضوح في الآيات الكريمة التي جاءت في هذا المجال.

أولا: الإيمان والسلوك وعلاقة ذلك بالأمن المجتمعي:

يقول الله تعالى مقسمًا: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ (١).

فهذه السورة الكريمة تبين لنا أن الفلاح والفوز للإنسان إنما يكونا من خلال الإيمان والعمل الصالح، مع التواصي بلزوم الحق ، والتخلق بالثبات، والصبر في القيام بالأعمال الصالحات، وهناك من الآيات ما يبين أن جنات

(*) أ.د/طه أبو كريشة (رحمه الله تعالى)، نائب رئيس جامعة الأزهر سابقًا.

(١) سورة العصر كاملة .

الفردوس في الآخرة هي الثواب المنتظر لأولئك الذين جمعوا بين الإيمان وعمل الصالحات، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[1].

ومما لا شك فيه أن الارتباط في الإسلام بين الإيمان والعمل الصالح هو من ركائز تحقيق الأمن المجتمعي؛ إننا نرى ذلك من خلال الربط في الإسلام بين الإيمان وما اقترن به من عمل الصالحات وبين السلوك الإنساني الذي سوف يكون مظهرًا مترجمًا عن حقيقة الإيمان انطلاقًا من القاعدة التي تقرر أن الإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل.

والأعمال الصالحة في مقدمتها وقمتها: القيام بأداء العبادات المفروضة في أركان الإسلام من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج بيت الله تعالى لمن استطاع إليه سبيلًا.

إن كل عبادة من هذه العبادات لا تكون عبادة حقيقية مقبولة عند الله تعالى إلا إذا صاحبها السلوك الإيماني الذي يعين على سلامة بناء المجتمع، وقد دلَّ على ذلك القرآن الكريم في كثير من الآيات، ومن ذلك قول الله تعالى في شأن الصلاة: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[2]، والأمر كذلك بالنسبة لفريضة الزكاة ، فهي من الأعمال

(١) الكهف: ١٠٧، ١٠٨.

(٢) العنكبوت: ٤٥.

الصالحات فوق كونها أمرًا تعبديًّا مطلوبًا، لها أيضًا علاقة بالسلوك الحياتي الذي يحقق أمن المجتمع في ميادين الكسب والارتزاق، يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ (١).

وعلاقة ذلك بالسلوك الإيماني علاقة واضحة؛ لأن هذا الضابط الإيماني من شأنه أن يجعل كل إنسان حريصًا على أن يحدد نشاطه المالي والاقتصادي في دائرة الحلال فحسب، وأن يبتعد عن مصادر الكسب الحرام ، وبذلك تضيق دائرة النشاط المالي المشبوه والذي من شأنه أن يحدث ثغرات تهدد بنيان المجتمع.

وما قيل عن الصلاة والزكاة يقال أيضا عن الصيام، فالصيام ركن من أركان الإسلام، وفريضة من فرائضه، ومن ثمرات أداء هذه الفريضة تحقيق التقوى التي جاءت الإشارة إليها في قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢)، والتقوى لها مظاهرها التعبدية والأخلاقية والسلوكية، ومن هذه المظاهر ما جاء وصفًا للمتقين في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ

(١) البقرة: ٢٦٧.

(٢) البقرة: ١٨٣.

يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[1].

وأيضًا فإن أداء فريضة الحج إلى جانب كونها تمثل وجهًا تعبديًّا لله تعالى؛ فهي تؤدي إلى تحقيق هذه الغايات في المجتمع؛ لأن هناك ضوابط أخلاقية يجب أن يلتزم بها الحاج في كل خطوة من خطواته وهو يؤدي حجه، وهذه الضوابط هي ما يمكن إدراكه من قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[2]، والالتزام بهذه الضوابط يمثل بداية طريق الحاج في السير نحو المغفرة الكاملة في ختام الحج، كما قال ﷺ: «مَنْ حَجَّ لله فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[3].

كما أن الإسلام قد حث على التخلق بكل ما يؤدي إلى تأكيد أواصر المحبة في هذا المجتمع، ومن ثم يكون مجتمعًا آمنًا، وفي الوقت نفسه فإنه يحذر من الأسباب السلبية التي تؤدي إلى الشقاق والشجار والخصام في

(١) آل عمران: ١٣٣ - ١٣٥.

(٢) البقرة: ١٩٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، حديث رقم: ١٥٢١.

المجتمع، ومن الأمثلة على ذلك في مجال طلب التخلق بالفضائل عامة ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾(١)، إن هذه القائمة التي أمرنا الله تعالى بالإحسان إليها هي قائمة تشمل كل أفراد المجتمع في الأسرة القريبة داخل البيت، ثم خارج البيت، ثم ما يلي من الأقرباء والجيران ، وغيرهم.

والإحسان المطلوب هو عنوان عام لكل معاملة طيبة سوية لا تؤذي شعورًا ولا تجرح إحساسًا، ولا تجور على حق، ولا تتبلد نحو مظهر من مظاهر الحاجة، ولا تستعلي بالقوة على الضعفاء، ولا تنسى القيام بالواجب نحو الغرباء الطارئين، كالسائحين وغيرهم ، فالقيام بهذا الإحسان على هذا النحو من شأنه أن يجعل كل إنسان يشعر بالأمن على نفسه وماله وعرضه في أي وقت من الأوقات.

ومن الأمثلة التي تحُي سلوكًا أخلاقيًّا معينًا ما يخص أدب الحديث مع الآخرين، فمن هذا الأدب ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾(٢)، وفي قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٣)،

---

(١) النساء: ٣٦.

(٢) البقرة: ٨٣.

(٣) الإسراء: ٥٣.

وقوله سبحانه: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾(١)، ومن التوجيهات النبوية قول النبي ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا ..»(٢).

وفي المقابل جاء النهي عن كل سلوك من شأنه أن يؤدي إلى النفور والكراهية، مما يكون سببًا في إساءة العلاقات الإنسانية وفي تفكيك أواصر المودة والمحبة، وبالتالي يشيع جوًّا غير ملائم لأمن المجتمع النفسي، وقد يكون طريقًا للدخول في التنازع الذي يؤدي إلى سفك الدماء وإزهاق الأرواح.

ومن أمثلة النهي في هذا المجال ما جاء في قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ*يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾(٣)، فمن

(١) النساء: ١٤٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق، حديث رقم: ٢٦٠٧.

(٣) الحجرات: ١١، ١٢.

المؤكد أن هذه الأمور التي جاء النهي عنها، تؤدي إلى آثار سلبية في العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع، وهي تتنافى مع موجبات الإيمان الذي نودي به المؤمنون في صدر هاتين الآيتين.

ومن الأدب السلوكي الإيماني الذي له صلة بأمن المجتمع ما يتعلق بآداب الطريق العام الذي هو ملك للمجتمع، وقد جاءت الإشارة إليه في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[1]، ففي هاتين الآيتين نرى نهيًا عن جرح الذوق العام في الطريق الذي يسير فيه الإنسان، وكذلك نرى نهيًا عن الإزعاج الذي يبدد راحة الناس.

ومن شأن المؤمن الصادق الإيمان أن يكون بعيدًا عن كل ما يؤذي الآخرين؛ وذلك لأن من خلق المؤمن التواضع وإيثار الهدوء في حياته ومع غيره من الناس، كما جاءت الإشارة إلى ذلك في الصفة الأولى التي تصدرت صفات عباد الرحمن، في قول الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[2].

وفي السنة النبوية المطهرة نرى كثيرًا من الأحاديث النبوية التي تربط بين

---

(١) لقمان: ١٨، ١٩ .

(٢) الفرقان: ٦٣.

الإيمان والسلوك الأخلاقي الطيب ، فحيث يوجد السلوك الحسن يكون ذلك دليلًا على صدق الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر، وحيث ينتفي السلوك الحميد فإن ذلك يكون دليلًا على عدم وجود الإيمان الصادق، ومن الأمثلة الدالة على ذلك الجانب الإيجابي قول النبي ﷺ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ"(١).

إن التوجيه الإيماني في هذا الحديث الشريف هو توجيه مجتمعي يحدد علاقة المؤمن بمن ينزل عليه ضيفًا، وهي علاقة الإكرام، كما يحدد علاقته بجاره وهي علاقة الإحسان في المعاملة الحافظة للحرمات، كما يحدد علاقة المؤمن بغيره وهو يتحدث إليه، وهي علاقة قائمة على القول الحسن الطيب الذي يوصف بالخير ولا يوصف بالشر.

فإذا ذهبنا إلى مجالات المعاملات فإننا نجد شواهد كثيرة تربط بين وجود الإيمان وما يترتب عليه من سلوك إيماني رشيد في المعاملة القائمة على العدل في هذه المعاملات ، ومن الأمثلة على ذلك ما يتعلق بالجانب الاقتصادي في الحياة، فإننا نرى فيه ربطًا بين الإيمان الحق بالله تعالى وبين السلوك الذي يجب أن يكون عليه المؤمن في هذا الجانب من حيث التزام الحلال واجتناب الحرام، ومن حيث إيفاء الكيل والميزان، ومن حيث البعد

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، بَابُ الْحُثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ ، وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْإِيمَانِ ، حديث رقم: ٤٨.

عن أكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾[1]، إن إعطاء الوزن والكيل حقهما يعني الالتزام بعدم الإجحاف بحقوق الناس، وهو أمر يشيع الرضا في النفس، كما يزيد من أصول الثقة التي يجب أن تكون سائدة في المجتمع، ومن يحرص على العدل في ذلك الأمر اليومي، فإنه سوف يكون حريصًا على مداومة هذا الالتزام في كل جوانب التعامل المتبادلة بين طرف وطرف آخر، فضلًا عن التعامل في الأسرة.

وأيضًا فإن مما يتصل بالجانب الاقتصادي الذي له صلة وثيقة بالأمن المجتمعي ما أوجده الإسلام من نظام المواريث؛ حيث جعل الله تعالى أحكامه قرآنًا يتلى، وجعل النظام الذي جاء عليه حدودًا ينبغي أن يسلم بها الناس، وأن يسيروا على هديها، وجعل هذا الالتزام سببًا لاكتساب الأجر والثواب من رب العالمين، أما عدم الالتزام فإنه يعد مظهرًا من مظاهر اختلال الإيمان والمساءلة القضائية ، ولا شك في أن الالتزام به من شأنه أن يشيع الأمن والرضا في مجتمع الأسرة ، ويكون عونًا على إحداث الأمن المجتمعي في المجتمع كله ودوامه.

إن المؤمن الكامل الإيمان هو الذي ينعكس إيمانه من خلال العبادات والأخلاق والمعاملات على سلوكه وعلاقته في المجتمع الذي يعيش فيه،

---

(١) الإسراء: ٣٥.

ومن خلال وجود هذا السلوك الطيب في كل مجال من هذه المجالات يتحقق الأمن المجتمعي تلقائيًّا دون إملاء من خارج ، ودون تكلف في الجهد البشري، أو في النفقة المادية؛ ذلك لأن الرقابة سوف تكون مباشرة مع الله (عز وجل) الذي يؤمن به المؤمنون الصادقون المتقون الخاشعون.

ثانيًا: العقل والسلوك وعلاقة ذلك بالأمن المجتمعي:

من أمثلة خطاب العقل الإنساني الذي يهدف إلى تحقيق صحة السلوك الاعتقادي ما جاء في قول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1].

إن التساؤل المتعدد في هذه الآيات يؤكد نفي أن يكون هناك إله مع الله

---

(١) النمل: ٦٠ - ٦٤.

تعالى، ومقتضى هذا التسليم أن لا يكون هناك إفساد في الأرض، ذلك لأن الله تعالى هو القائل: ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]، وهو سبحانه الذي حدد عقوبة الإفساد في الأرض بقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَـٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

ومن خطاب العقل المتصل بالعقيدة أو بالسلوك العقائدي السليم ما جاء في القرآن الكريم من دعوة إلى النظر والتأمل والتدبر في الخلقة الإنسانية كيف تمت، وكيف خرج الإنسان إلى الوجود بهذه الصورة الحسنة الجميلة التي توجب عليه أن يحسن الصلة بخالقه تعالى، وذلك من خلال الاستقامة على طاعته التي تجعله من الأبرار الذين يخلدون في جنات النعيم.

ومن صور خطاب العقل في الجانب العقائدي خطابه في أمور بدهية لا يملك إلا أن يجيب عنها إجابة واحدة لا يختلف عليها اثنان، ومن خلال هذه الإجابة الحتمية يأتي الإلزام بما يترتب عليها من الإقرار بالإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له، وبما يقتضيه هذا الإيمان من التزام العمل الصالح

(١) الأعراف: ٨٥.

(٢) المائدة: ٣٣.

في الحياة، وهو التزام من شأنه أن يحقق للمؤمن وللمجتمع كل مظاهر الأمن النفسي والاجتماعي والسلوكي، ومن شواهد ذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لله شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾[1].

أما عن خطاب العقل الإنساني الذي يهدف إلى تحقيق صحة السلوك الأخلاقي فإن له أيضًا شواهد كثيرة في القرآن الكريم، ومن هذه الشواهد ما جاء بشأن تزكية النفس الإنسانية واستقامتها على صراط الله المستقيم، وذلك في قول الله (عز وجل): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[2].

---

(١) الرعد: ١٦.

(٢) فاطر: ١٥-٢٢.

ففي هذه الآيات نرى دعوة إلى الالتزام بمظهر من مظاهر الاستقامة على صراط الله تعالى المستقيم من خلال تزكية النفس وتطهيرها من النقائص التي يمكن أن تواجهها في هذه الحياة؛ ذلك لأن كل إنسان مسئول عن نفسه مسئولية مستقلة، دون أن يتحمل عنه أحد شيئا من هذه المسئولية، ولو كان هذا الشخص أقرب المقربين إليه ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾(١)، وأيضا فإن ثمرة الاستقامة تعود على صاحبها في المقام الأول ، قال تعالى : ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾(٢). إن هذه الدعوة إلى هذه الاستقامة جاءت بعدها تلك الآيات التي جاء فيها الإخبار عن نفي المساواة بين أمور متضادة متقابلة، وهو نفي يقره كل عاقل، ولا يستطيع أحد أن يعارض ذلك إلا إذا كان قد فقد العقل فلا يدرك الفرق بين أمر وأمر آخر.

إن هذه الآيات التي تؤكد هذه الحقيقة هي قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾(٣)، إن في ذلك دعوة للعقل الإنساني لكي يسلم ويذعن بأنه أيضا لا مساواة بين من يزكي نفسه ويقيمها

(١) فاطر: ١٨.

(٢) فاطر: ١٨.

(٣) فاطر: ١٩ - ٢٢.

على صراط الله تعالى المستقيم، ومن أعمى نفسه وتركها تسير في طريق الغواية البعيد عن الصراط المستقيم.

إن تعدد الأمثلة التي تؤكد على نفي المساواة بين تلك الأمور فيه حث على إعمال العقل فيما يؤدي إلى تزكية النفس الإنسانية وإصلاحها، بحيث تغدو نفسا مستقيمة طاهرة ، لا يصدر منها إلا كل خلق إنساني طيب، ومن هنا تأتي النتيجة المتوقعة وهي براءة المجتمع من النفوس الضالة التي تعيث في الأرض فسادا، أو تفقد المجتمع أمنه وسلامته واستقراره.

ومن خطاب العقل المؤدي إلى الالتزام بالسلوك القويم ما جاء في القرآن الكريم بشأن اليتامى، حيث جاء الحث على رعايتهم، وعلى حسن القيام بحقوقهم حتى يبلغوا سن الرشد ويحسنوا القيام بشئونهم بأنفسهم، مع تقرير كافة حقوقهم الإنسانية في أنفسهم وما يحتاجون إليه من احتواء أُسَري وتربية وتعليم وعلاج وترفيه حتى يكونوا عناصر طيبة في المجتمع ، ولعل ذلك كله ما يشير إليه حديث النبي ﷺ : «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى"[(١)]، فإن تلك المنزلة تقتضي أن يكون صاحبها قد قدم لليتيم ما يكون أهلا للوصول إليها ، كما حذر الإسلام من أكل أموالهم، وإهمال رعايتهم وكفالتهم، ونرى التوجيه إلى هذه الرعاية الطيبة في قول الله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب ، بَابُ فَضْلِ مَنْ يَعُولُ يَتِيمًا، حديث رقم:٦٠٠٥ .

ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾[2]، إن هذا التوجيه الإلهي جاء مصحوبا بخطاب عقلي يلزم العقل الإنساني بالالتزام بكل سلوك طيب مع اليتامى، مع البعد عن كل سلوك مذموم يتعلق بذواتهم أو بما يملكون من أموال، وذلك من خلال التذكير بأن الإنسان قد يموت ويترك من ورائه أطفالا يتامى، فإنه لن يرضي لهم إلا المعاملة الطيبة، وإذن فعليه أن يعامل اليتامى الذين قُدِّر لهم أن يكونوا تحت وصايته كما يحب أن يُعَامل أبناءه سواء بسواء ، إن هذا التذكير العقلي نراه في قول الله تعالى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا﴾[3].

وهكذا تتعدد التوجيهات القرآنية في سائر الجوانب الأخلاقية، حيث يأتي التوجيه إليها من خلال حوار وخطاب عقلي يسلّم فيه العقل بما يدور حوله الحوار، ثم يكون من وراء التسليم الالتزام بالسلوك المحمود

---

(١) النساء: ٢.

(٢) النساء: ٦.

(٣) النساء: ٩.

المطلوب، وهنا يتوارى مظهر من مظاهر الخلل الاجتماعي ويحل محله المظهر الإيماني الذي يكون له الأثر البالغ في تحقيق الأمن المجتمعي ، حيث لا يكون هناك عبث أخلاقي، كما لا يكون هناك خلل عقائدي، وبذلك يلتقي الإيمان والعقل على منهج سواء في الهداية إلى صراط الله تعالى المستقيم، يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

*   *   *

(١) الأنعام: ١٥٣.

أثر الإيمان في تحقيق السلام الاجتماعي(*)

إن الإيمان - وهو التصديق بكل ما جاء به الرسول الكريم ﷺ كتابًا وسنة - يُؤَمِّن الفرد في دينه ونفسه وعقله ونسبه وعرضه وماله ومجتمعه، ويعصمه ويعصم كل ما ينسب إليه، وهو بذلك يشيع الأمن والسلام في النفس والمحيط الذي يعيش فيه الإنسان.

والإيمان بما جاء عن الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ وتطبيقه بكل نزاهة وإخلاص، وإنزاله منازله بعناية فائقة ، هو الضمان الوحيد لأمن وسلامة المجتمع.

ومتى وُجِدَ مثل هذا المجتمع الإيماني ينبغي أن يتمتع بالأمان والسلام والطمأنينة؛ لأنه مجتمع يسير على مبدأ التساوي في الحقوق والواجبات، وقد أحكم وأتقن سلوكه على أساس المحبة والتقدير والإيثار الذي هو من ثمار المحبة الخالصة وثمرة من ثمار الترابط الوثيق، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾(١).

والالتزام الإيماني يعني الانصباغ للإيمان والتكيف مع حقائقه ومعطياته

(*) الشيخ / إبراهيم صالح الحسيني، رئيس هيئة الإفتاء والمجلس الإسلامي ، بدولة نيجيريا.
(١) الحشر: ٩.

في المظهر والسلوك، وفي الانضباط في الحركة والسكون داخل إطار القيم والأخلاق ، وسائر المقومات التي يعتز فيها المؤمن بكونه مؤمنًا يحمل رسالة الإيمان ، ويحس بها ويتفاعل معها.

أحكام الشرع وضمان أمن المجتمع:

إن جميع الأحكام الشرعية التي جاءت بها الأوامر والنواهي، وما تتطلبه من أداء الواجبات، والالتزام بالحقوق ما جاءت إلا لضمان أمن المجتمع وسلامته من الخصومات، ومن الوقوع في التنازع والتقاطع والتدابر مما يجر إلى ويلات الحروب والدمار.

وتذكيرًا بضمان أمن المجتمع وسلامه وإشاعة ذلك صار «السلام» شعارًا وعلامة لمجتمع الإسلام، وهو عهد يتجدد بتجدد اللقاءات بين الإنسان وأخيه الإنسان ، ويجب أن نتعلم من سمو خلق النبي ﷺ الرفيع مع كافة الناس حتى مع الخصوم والمعاندين كيف كان يرد عليهم عند الإساءة، ففي الحديث عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله (رضي الله عنهما)، يَقُولُ: سَلَّمَ نَاسٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، فَقَالَ: «وَعَلَيْكُمْ»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : وَغَضِبَتْ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «بَلَى، قَدْ سَمِعْتُ فَرَدَدْتُ عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّا نُجَابُ عَلَيْهِمْ وَلَا يُجَابُونَ عَلَيْنَا»(١)، وعَنْ أَبِي مُوسَى (رضي الله عنه) قَالَ: كَانَ اليَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ ابْتِدَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالسَّلَامِ وَكَيْفَ يُرَدُّ عَلَيْهِمْ ، حديث رقم: ٢١٦٦.

يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمُ اللهُ، فَيَقُولُ: «يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»[١]، كل ذلك حفاظًا على روح التسامح التي يمتاز بها المؤمن في نفسه، وفي تعامله مع جميع الناس تحقيقًا للغاية التي يهدف إليها الإسلام في الأرض، وهي السلام والأمن والاستقرار.

فالإيمان الكامل إذا ظهر أثره على المؤمن وعلى قلبه وجوارحه لا بد أن يأمن الناس بوائقه، كما ينعكس أثر ذلك على باطنه فيكفه عن تتبع عورات الناس أيًا كانوا، فالإيمان الكامل يجعل من سلوك صاحبه بلسمًا يشفي من كل داء ، وينعكس أثر ذلك على عقله وفكره وتوجهاته الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية، ناظرًا إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[٢]، وإلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ)[٣]وإلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[٤]، وإلى قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[٥]، وإلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[٦].

والمؤمن - وهو على هذه الحال من الالتزام - يحترم جميع الأديان والأنفس

---

(١) سنن الترمذي ، أبواب الأدب ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَيْفَ يُشَمَّتُ الْعَاطِسُ ، حديث رقم: ٢٧٣٩.
(٢) الشعراء: ٢١٨، ٢١٩.
(٣) الحديد: ٤.
(٤) آل عمران: ٥.
(٥) غافر: ١٩.
(٦) الفجر: ١٤.

والعقول والأنساب والأموال والأعراض، ويحافظ على بيئة الأمن والسلام في المجتمع الذي يعيش فيه، ولا يلتقي أبدًا الإيمان الصحيح والإفساد في الأرض ونشر الإرهاب والتطرف والتعصب الذي ينتهي عادة إلى الخراب والدمار.

إن الإيمان الكامل المصحوب بالوعي والإدراك والتقييم الصحيح لأوضاع الأمة يهدف دائمًا إلى تحقيق السلم الشامل لكل الناس من جميع الأديان؛ إذ الإسلام يحفظ للناس كافة جميع حقوقهم ولا يتأثر هذا المبدأ بسلوك الآخرين.

ومن هنا، ينبغي أن ندرك أن الإيمان الكامل بالله ورسوله لا علاقة له بالعنف والإرهاب أو التفجيرات، وما يحدث من هذا العدوان في أي مكان من فئة ضالة تتسمى باسم الإسلام بهتانًا وزورًا، فهو يستهدف الإسلام كما يستهدف الشعوب الأخرى على حد سواء.

دور الإيمان في المحافظة على العلاقات الاجتماعية:

يقوي الإيمان العلاقات الاجتماعية بين الناس بعضهم مع بعض بالتعاون والتضامن كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ

(١) المائدة: ٢.

تُفۡلِحُونَ﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[2]، وفي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[3]، وفي حديث آخر عن أبي هريرة (رضي الله عنه) مرفوعًا: « اتَّقِ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلْبَ»[4].

وإن حدث نزاع أو خلاف أو قتال بين المؤمنين أو طوائفهم فقد جاء الحل صريحًا في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[5].

نجد هنا أن المؤمن الكامل لا يسعى ابتداءً إلى إشعال نار الفتنة، وإذا نشبت الفتن سارع إلى إطفائها بسعيه في إصلاح ذات البين، يقول الله تعالى:

---

(١) الحج: ٧٧.

(٢) البقرة: ١٩٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث: ١٣.

(٤) سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب مَنْ اتَّقَى المَحَارِمَ فَهُوَ أَعْبَدُ النَّاسِ، حديث رقم: ٢٣٠٥.

(٥) الحجرات: ٩، ١٠.

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾[1]، ويقول الرسول الكريم ﷺ: «اتَّقُوا الله وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ فَإِنَّ الله تَعَالَى يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ»[2]، وأيضًا إذا نشب قتال بين طائفتين لا ينحاز إلى إحداهما مهما كانت الصلة المذهبية أو القبلية؛ بل يسعى للإصلاح ورأب الصدع، فإذا بغت إحداهما على الأخرى فلا ينحاز إلا للحق لا للتعصب ولا للعنصرية، وهذا أيضًا من آثار الإيمان الكامل في أمن المجتمع.

ويتجلى أثر الإيمان أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[3]، فمن المعروف الأمن ، ومن المنكر الإخلال به ، فالإيمان الكامل يدفع إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذه وظيفة المؤمنين الذين لا تستفزهم العنصريات ، ولا القبليات ، ولا القوميات ، ولا عدم توافق الآراء ، إنما هم ثابتون في مركز الإيمان ينطلقون منه في أداء وظيفتهم، كلٌّ في نطاق مسئوليته وفي حدود المهام الموكولة إليه من قبل الدولة والمجتمع.

---

(١) الأنفال: ١.

(٢) المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، كتاب العلم ، حديث رقم: ٨٧١٨ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.

(٣) التوبة: ٧١.

إن مصدر الإصلاح هو القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وهما مصدر العمل بإخلاص في مجال التربية والتزكية وحسن المعاملة مع الآخرين، والإرشاد السليم إلى مناهج الدعوة الصحيحة بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن كما نص على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(١)، وما من شك في أن الذي يخل بالأمن لا يكون إلا شريرًا، والشر ليس من صفات المؤمن، وفي الحديث: « إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ الله مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ»(٢).

وختامًا.. فإن الأمن يزدهر وينمو ويسود كلما ازدهر الإيمان في المجتمع ونما، وينكمش ويذبل ويختفي على قدر انكماش الإيمان وانطماسه من القلوب، ولذلك فإنه من أبرز الوسائل التي تضمن للمجتمع زيادة نماء الأمن والاستقرار العودة إلى تعميق جذور السلوك الصحيح، وتعميق الإحساس به في النفس والتصرف .

* * *

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) صحيح البخاري ،كتاب الأدب ، باب «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا» ، حديث رقم: ٦٠٣٢.

جوانب إيمانية في تحقيق السلام الاجتماعي(*)

الإيمان هو نجاة للمرء من سوء العواقب ، وسبيل إلى السعادة في الدارين والفوز بالجنة ، فهو حصانة ضد الانحراف والزيغ والشطط ، ووقاية من الإساءة للآخرين ، أو الإضرار بالمجتمع بشتى أنواع الإساءة وبمختلف أشكال الإضرار، ولذلك فإن الإيمان سبيل إلى الخير كله في الدنيا والآخرة ، وهو فوق ذلك الوسيلة إلى استتباب الأمن والأمان ، وتثبيت دعائم السلام بالمعنى الشامل والمدلول العام للسلام .

والإيمان لغة: التصديق والثقة والإيقان ، وجميعها معانٍ متقاربة متداخلة، وفي الشرع : هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان ، وقيل: من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق ، ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق ، ومن أخل بالشهادة فهو كافر(١).

وللعلماء تحليل نافذ عميق لمصطلح «الإيمان» الوارد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فقد جاء آمنت بالله (وآمنت لله) ، والفرق بين

(*)أ.د/عبد العزيز بن عثمان التويجري - السعودية- مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) سابقًا.

(١) التعريفات ، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء: ص٤١، ط دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة : الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

الاستعمالين يكمن في أن الإيمان بالله يعني: التصديق والإثبات والاعتراف بوجوده سبحانه، أما الإيمان لله فيعني: قبول ما يطلبه والطاعة له، ويترتب على ذلك أن الاعتراف بالله تعالى لا بد أن يسبق القبول والطاعة، وهذا يعني أن لفظ الإسلام قد يأتي مساويًا للفظ الإيمان لله، ولا يأتي مرادفًا للإيمان بالله بمعنى التصديق والإيقان به، أما لفظ الإيمان مطلقًا فيشمل: الاعتقاد والانقياد معًا ؛ لأنه يشمل الاعتقاد وغيره ، فالاعتقاد جزء من الإيمان فحسب [1].

ويشرح الإمام محمد عبده الإيمان بأنه: التصديق الجازم المقترن بإذعان النفس وقبولها واستسلامها، وآيته العمل بما يقتضيه الإيمان عند عدم الصارف الذي يختلف باختلاف درجات المؤمنين في اليقين [2]، يقول الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[3]، فأخبر أن المؤمنين هم الذين جمعوا هذه الأعمال، فدلَّ ذلك على أنها من جوامع الإيمان.

---

(١) (الإيمان) ضمن الموسوعة الإسلامية العامة ، د/محمد عبد الله الشرقاوي ، إشراف الدكتور محمود حمدي زقزوق ، ص: ٢٤٨، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة، عام ٢٠٠١.

(٢) نفس المصدر السابق ، ص: ٢٤٨.

(٣) الأنفال: ٢.

ومن نعم الله على بعض خلقه أن أكرمهم بالإيمان، وفتح بصائرهم له، وهداهم إليه، وحببه لهم، وزينه في قلوبهم، فمن هُدِي إلى الإيمان هُدِي إلى الخير كله عاجله وآجله، ومن ملأ الله قلبه بالإيمان أتاه من فضله وأكرمه من جوده وإحسانه، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾[1]، فقابل بين ما حببه إلينا، ثم أفرد الإيمان بالذكر فيما حَبَّب، وقابله بالكفر والفسوق فيما كره، فدل ذلك على أن للإيمان ضدين، أو أن من الإيمان ما ينقضه الكفر، ومن الإيمان ما ينقضه الفسوق، وفي ذلك ما أبان أن الطاعات كلها إيمان، ولولا ذلك لم يكن الفسوق ترك الإيمان، وفي حديث عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ أن جبريل (عليه السلام) جاء إلى النبي ﷺ في هيئة بشر، فسأله عدة أسئلة، منها: ما الإيمان؟ قَالَ: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كله»[2].

اقتران الإيمان بالعمل الصالح:

من المعلوم يقينًا أن جوانب الإيمان تشمل أو يجب أن تشمل ظاهر الإنسان وباطنه قولًا وعملًا، فالإيمان يتمثل في العقيدة والأصول التي تقوم

---

(١) الحجرات: ٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسلام ما هو وبيان خصائه، حديث رقم: ١٠.

عليها شرائع الإسلام وعنها تنبثق فروعه ، والعمل يتمثل في الشريعة والفروع التي تعدّ امتدادًا للإيمان والعقيدة ، والإيمان والعمل، أو العقيدة والشريعة كلاهما مرتبط بالآخر ارتباط الثمار بالأشجار، أو ارتباط المسببات بالأسباب ، والنتائج بالمقدمات ، ولذلك قرن الله تعالى الإيمان بالعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾(١)، فإن الإيمان الصادق، الإيمان الحق، هو الذي ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة، وينفع غيره من المقربين إليه، ومن المحيطين به، ومن الذين ينتمي إليهم.

فالإيمان هو الذي يحفظ على المرء سلامه الروحي وأمنه النفسي واستقراره الوجداني وصفاءه الفكري وسعادته الدنيوية والأخروية، وهذا الضرب من الإيمان هو الذي يبني ولا يهدم، ويصلح ولا يفسد، ويعطي ولا يبخل، وينهض بالمجتمع ويرتقي به ويكسبه القوة والمناعة، وينير الطريق أمام الإنسان للارتقاء الروحي، وللنماء المادي، وللعطاء الجزيل من أجل الإنسانية جمعاء، يقول الإمام محمد عبده في تفسير سورة العصر: (الذين آمنوا) هم الذين صدَّقوا بأصل الخير والشر، كما قال تعالى: ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾(٢)، واعتقدوا اعتقادًا صحيحًا بالفرق بين الفضيلة والرذيلة، وبأن لأنفسهم وللعالم حاكمًا يرضي ويغضب، ويُثِيب ويعاقب، وأن لهم

(١) البقرة: ٢٥.

(٢) الليل: ٦.

جزاء على أعمالهم، الخير بالخير والشر بالشر، ثم كان تصديقهم هذا بالغًا من أنفسهم حد أن يملك إرادتهم فلا يعملون إلا ما يوافق اعتقاداتهم، فهم يعملون الصالحات ، وهي الأعمال التي عددت بالتفصيل في القرآن ، وجماعها أن تكون نافعًا لنفسك، ولأهلك، ولقومك، وللناس أجمعين(١).

فالعمل الصالح هو الذي ينفع الناس ويمكث نفعه في الأرض، والمؤمن لا يأتي إلا عملًا صالحًا، وينأى عن العمل الطالح الذي يسيء لنفسه ولمجتمعه وللناس أجمعين، ولذلك اقترن الإيمان بالعمل الصالح في العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المطهرة.

إن هذا الإيمان الذي يصوغ الإنسان قلبًا وفكرًا ووجدانًا، ويصنع الحضارة، هو الإيمان الذي يقترن بالعمل الصالح النافع الهادف الذي لا تشوبه شائبة، الذي يراد به وجه الله تعالى ونيل مرضاته، والذي هو حق وواجب وأمانة ورسالة.

إن الإيمان في حقيقته ليس مجرد عمل لساني ولا عمل بدني ولا عمل ذهني، إن الإيمان في حقيقته عمل نفسي يبلغ أغوار النفس ويحيط بجوانبها كلها من إدراك وإرادة ووجدان ، والله الكريم تعالى يعرض دائمًا الإيمان مقترنًا بأعمال حية ، وتصرفات ناصعة يتميز بها المؤمنون من الكافرين

---

(١) الإمام محمد عبده ، الأعمال الكاملة : جـ ٤ /ص ٥٤، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، عام ١٩٩٣م.

والمنافقين، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾[1]، فالإيمان قرين العمل الصالح، وما من آية من آيات القرآن الكريم ذكرت إيمان المؤمنين إلا وأردفته بالعمل الصالح، فالأعمال الصالحة الخالصة لله تعالى دليل الإيمان.

الإيمان مصدر السلام:

الإيمان يغمر قلب المؤمن سكينة ورضا وطمأنينة وأمنًا وسلامًا، فيكون في سلام مع نفسه، وفي سلام مع من يحيطون به، وفي سلام مع المجتمع الذي ينتمي إليه؛ إذ هو منبع السلام بالمفهوم العميق والشامل.

إن الإيمان هو رديف السلام، والسلام هو ثمرة الإيمان، فلا يأتي السلام إلا عن طريق الإيمان الذي هو وحده مصدر السلام النقي الخالص من الشوائب المبرأ من الهوى، يقول النبي ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[2]، والسلامة من الأذى ومن العدوان ومن التطاول على حقوق الناس هو أساس السلام المجتمعي، وهو أساس السلام بصورة عامة، ولذلك فإنه من مصادر الإيمان.

---

(١) المؤمنون: ١ - ٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الْمُسْلِم مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، حديث رقم: ١٠.

وهذا الربط الوثيق بين إسلام المرء وبين السلامة من لسانه ويده، هو من تجليات التقاء جذر لفظ إسلام، مع سلام، وسلم، وسلامة، واستسلام، وهو الأمر الذي يفتح البصيرة للتأمل العميق في معنى اسم (السلام) الذي هو من أسماء الله الحسنى.

وحين يسلم الإنسان من لسان أخيه ومن يده تسري روح السلام في المحيط الاجتماعي العام؛ لأن السلام المجتمعي يبدأ من سلام المرء مع نفسه ومع من يعيشون معه من قريب أو بعيد؛ إذ لا سلام اجتماعيًّا ما لم ينبع السلام من قلب الإنسان ومن عقله، وبذلك يتأسس السلام المجتمعي على قاعدة راسخة من الإيمان، ومن واجبات الإيمان ومقتضياته وشروطه وأخلاقياته.

ويكون العمل على ترسيخ الإيمان بالحكمة وبالتي هي أحسن عملًا من أجل تعزيز الشروط الموضوعية لإشاعة السلام المجتمعي ، ولتقوية دعائم الاستقرار في المجتمع، ولذلك كان من وصايا الرسول الكريم ﷺ إفشاء السلام، فعن البَرَاء بْن عَازِبٍ (رضي الله عنه) : «أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجِنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإِبْرَارِ القَسَمِ، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَإِفْشَاءِ السَّلاَمِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَهَانَا عَنْ خَوَاتِيمِ الذَّهَبِ، وَعَنْ آنِيَةِ الفِضَّةِ، وَعَنِ المَيَاثِرِ، وَالقَسِّيَّةِ، وَالإِسْتَبْرَقِ، وَالدِّيبَاجِ»[1] .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب إِفْشَاء السَّلاَمِ مِنَ الإِسْلاَمِ، حديث رقم: ٥١٧٥ ، =

ومن جوامع الكلم وروائع البيان النبوي قوله ﷺ: « أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا»[1]، حيث ربط ﷺ بين أمرين عظيمين: إفشاء السلام، والسلام الذي يسود بين الناس، وفي ذلك ما يدل دلالة قوية على أن من أخلاق المسلم إفشاء السلام، والمعنى هنا يتجاوز مجرد التحية يلقيها المرء على من يلقى في طريقه إلى معنى أعمق، هو العمل على ترسيخ السلام ونشره وتقوية دعائمه على أوسع نطاق، يقول الرسول ﷺ في الحديث: «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[2].

إننا هنا بإزاء مفهوم إيماني إنساني للسلام لم تعرفه حضارة من الحضارات الإنسانية عدا الحضارة الإسلامية يؤسس لثقافة السلام بمدلولاتها ومفاهيمها التي تجسدت في الحضارة الإسلامية فكانت مثالًا

= و(المياثر) جمع الميثرة وَهِي: فرَاش صَغِير من الْحَرِير محشو بالقطن يجْعَلهُ الرَّاكِب تَحْتَهُ. و(القسية) هي: ضرب من ثِيَاب كتَّان مخلوط بحرير ينْسب إِلَى قَرْيَة بمصر يقال لها القسي، وهي بَلْدَة كَانَت على سَاحل الْبَحْر بِالْقربِ من دمياط ركب عَلَيْهَا الْبَحْر فاندرست، وَكَانَ ينسج فِيهَا القماش من الْحَرِير وَلَا يُوجد لَهُ نَظِير من حسنه. و(الاستبرق) هُوَ: مَا غلظ من الْحَرِير. و(الديباج) هو: الثِّيَاب المتخذة من الإبر يسم، فَارسي مُعرب. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العينى، المتوفى: ٨٥٥هـ)، جـ٢٠/ص١٥٩، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١) صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب ذِكْر إِثْبَاتِ السَّلَامَةِ فِي إِفْشَاءِ السَّلَامِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، حديث رقم: ٤٩١.

(٢) سنن أبي داود، أبواب النوم، باب فِي إِفْشَاءِ السَّلَامِ، حديث رقم: ٥١٩٣.

للتعايش بين أتباع الأديان والعقائد والمذاهب والملل والنحل، وكانت بحق حضارة سلام.

إن هذا التأصيل الإيماني للسلام ينطوي على دلالات عميقة تؤكد أن السلام المجتمعي - أي السلام بين الناس الذين يعيشون في مجتمع واحد- واجب شرعي، وضرورة اجتماعية، ومهمة إنسانية، وشرط لازم من شروط التعايش، فالسلام المجتمعي هو ثمرة الإيمان الذي إن دخل القلب وتغلغل في شغافه أنار البصيرة والعقل، وتحول إلى إرادة قوية للتغيير نحو الأحسن والأفضل والأقوم والأجمل، وبذلك يعم السلام النفس الإنسانية، ويسري في كيان المجتمع، فيكون سلامًا اجتماعيًّا بقدر ما يكون سلامًا شاملًا وأمنًا سابغًا، بالمفهوم الإنساني الاجتماعي والفكري والثقافي العميق للأمن.

لذلك فإن السلام المجتمعي النابع من الإيمان الصحيح هو أشد تماسكًا وأقوى بنية وأرسخ قواعد وأدوم عمرًا وأقوم سبيلًا؛ لأنه سلام نابع من العقيدة الدينية، تتوافر فيه عوامل القوة والمناعة ضد عوادي الزمن، والصمود في وجه التحولات والأزمات والخلافات التي قد تنشأ بين الأفراد والجماعات، فتفصم عرى السلام المجتمعي ، وتمزق نسيج الوحدة الوطنية.

فللإيمان الصحيح القائم على الحكمة وعلى العلم والمعرفة الدينية الواسعة ومخاطبة الناس بالتي هي أحسن دور فاعل ومؤثر في تماسك المجتمع وفي تضامنه وفي قوته ومناعته ؛ لما في ذلك من عناصر القوة للمجتمع تضامنًا وتماسكًا وأمنًا وسلامًا، وفي إرساء القواعد القوية للسلام

المجتمعي بالمفهوم الشامل الذي هو حجر الزاوية في استقرار المجتمعات وفي انتظام أمورها وإصلاح أحوالها والنهوض بها.

وختامًا.. فإن الخلاصة الوافية التي نخرج بها من بحثنا هذا هي أن كل عمل يراد به إحياء الإيمان في القلوب، وتحبيبه إلى الناس، وتعزيزه في الضمائر، وترسيخ المبادئ الإسلامية ونشر الفضائل ومكارم الأخلاق، هو عمل يصب في اتجاه دعم السلام المجتمعي وإزالة الأسباب التي تؤدي إلى المساس بالاستقرار أو تضر بأمن المجتمع بالمعنى الشامل والصحيح للأمن.

إن الله – سبحانه وتعالى - هو السلام المؤمن، والأمن الذي هو ضد الخوف من الإيمان فأصلهما اللغوي واحد ، والله تبارك وتعالى هو المؤمن الذي يستحق وحده نسبة الأمن والأمان إليه في الحقيقة والواقع، فهو سبحانه الذي يهيئ الأسباب التي تحقق الأمن، وتسد أبواب الخوف، وتُوجِد السكينة في نفس الإنسان[(١)].

وإذا رسخ الإيمان في قلب المؤمن حلت السكينة فيه، وملأ السلام نفسه، وفاض على من حوله، ليصبح سلام المجتمع بأسره حقيقة راسخة.

* * *

(١) موسوعة: وله الأسماء الحسنى، للدكتور /أحمد الشرباصي: جـ١ /ص٦٣، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.

دور الأسرة في تحقيق الأمن والسلام(*)

الزواج أساس الأسرة ، وهو من السنن الطبيعية التي لا بد منها في بقاء النوع الإنساني، وقد امتن الله تبارك وتعالى على الناس بأن جعل الزواج في الخلق آية من آياته التي أنعم بها على خلقه ، والتي تدل على قدرته وحكمته، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١)، وقد وردت كلمة (آية) أو (آيات) في القرآن الكريم في مواطن تنبه الناس للأشياء الكونية العظيمة التي خلقها الله تعالى ، كما تنبههم إلى الآيات القرآنية التي تهديهم إلى الحق ، ومجيء هذه الآيات بعد الحديث عن الزواج يدلنا على أن القرآن الكريم ينظر إلى سنة التزاوج والارتباط بين الرجال والنساء باعتبار أنه أمر عظيم، له قيمته الكبرى التي لا تقل عن اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الليل والنهار، وغير ذلك من الآيات الكونية والتشريعية الكبرى.

ولهذا اهتم الشارع الحكيم أعظم الاهتمام بالأسرة ووضع لها نظامًا كاملاً محكمًا، تنشأ فيه رابطة الزوجية على أساس من المودة والرحمة والسكينة؛ حتى تنبت فيه شجرة الأسرة قوية الجذور، باسقة الفروع، وتنمو وتزدهر، وتثمر

(*) أ.د/محمد بن أحمد بن صالح الصالح ، أستاذ الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود ، السعودية.

(١) الروم: ٢١.

أينع الثمر، وتنشر في الناس ظلًّا وارفًا وأريجًا عطرًا، ومن أجل هذا كله كان الزواج ذا شأن خطير وأثر بالغ في حياة الإنسانية وتوجيهها.

الأسرة في القرآن الكريم:

جاء الحديث في الكتاب العزيز عن الأسرة وقضاياها فيما يزيد على ثمانين وثلاثمائة آية ، ومن ذلك ما جاء في سورة النساء التي نزلت باتقاف المسلمين بالمدينة ، والوحي النازل في المدينة يتجه غالبًا إلى المجتمع الإسلامي، يرسي دعائمه، ويبين معالمه، ويقيم أركانه، ولما كانت الأسرة أساس كل مجتمع صالح كان لا بد أن تتحدث السورة عن الأسرة في صفحات عديدة وآيات كثيرة متوالية.

إن الإسلام أوجب النكاح حينًا واستحبه أحيانًا ويسره ودعا إليه ورغب فيه، وبيَّن أن بناء الأسرة يقوم على التراحم والسكينة النفسية ، وقد تنزل القرآن الكريم بتوجيه الآباء والأمهات للاعتناء بأبنائهم وبناتهم، وبناء أخلاقهم على ما يصلح به دينهم، وتستقيم به أحوالهم، يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[1]، قال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): أي علموهم وأدبوهم ، وقال ابن عباس(رضي الله عنهما): قوا أنفسكم وأمروا أهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيهم الله بكم، وقال ابن الجوزي: وقاية النفس تكون بامتثال الأوامر واجتناب النواهي،

---

(١) التحريم: ٦.

ووقاية الأهل بأن يؤمروا بالطاعة وينهوا عن المعصية(١)، قال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾(٢).

وإذا كان القرآن الكريم قد أمر بالصلاة والمحافظة عليها فإنه كذلك أمر بتعليم الأطفال الآداب ومحاسن الأخلاق ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾(٣)، فالأولياء مخاطبون بتعليم من تحت ولايتهم من بنين وبنات العلمَ والآداب الشرعية؛ لأن الله وجه الخطاب إليهم لأنهم هم المكلفون بذلك ، حيث إن المَعْنِي بالأمر هم الأطفال لم يكلفوا من الله تعالى بعد ، لانه لا تكليف إلا بعد البلوغ ، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ﴾(٤) ولا يمكن ذلك إلا بالتعليم والتأديب(٥).

وإذن فالمؤمنون الذين اعملوا جهدهم في حسن تربية أولادهم وأخذوا بنواصيهم إلى الخير والرشاد قد وعدهم الله بثواب من عنده ، والله عنده حسن

(١) تفسير القرطبي: ١٨ /١٩٤، وزاد المسير: ٨ /٣١٢، وتفسير البغوي: ٤ /٣٦٧.

(٢) طه: ١٣٢.

(٣) النور: ٥٩.

(٤) النور: ٥٨.

(٥) تفسير السعدي: جـ١ /ص٥٧٤.

الثواب، وهو وعد صادق، فالله وعد المؤمنين الذين استقاموا والتزموا منهج الإسلام واهتدوا بهدي المصطفى ﷺ بمكافأة يفرحون بها في الدنيا وينالون بها السعادة في الآخرة ، وهي أن يكون أبناؤهم على منوالهم في طريق الخير والسعادة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾[1].

وتُعَدُّ مرحلة الطفولة هي مجال إعداد وتدريب الطفل للقيام بالدور المطلوب منه في الحياة، ولما كانت وظيفة الإنسان هي أكبر وظيفة ، ودوره في الأرض هو أعظم دور؛ اقتضت طفولته مدة أطول ليحسن إعداده وتدريبه للمستقبل، ومن هنا كانت حاجة الطفل شديدة لملازمة أبويه في هذه الحقبة من الزمن.

ولما كان الأطفال هم أغلى ذخيرة على وجه الأرض، وهم عدة المستقبل، فقد حثت شريعة الإسلام على العناية بهم وحسن تربيتهم وتأديبهم وتهذيبهم والرفق بهم والعطف عليهم، كما أمرت الشريعة بتعليم الأطفال كل ما يعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة، وهي مسئولية عظيمة يشترك في القيام بها كلّ من المنزل، والمدرسة، والمجتمع، كما أن البيئة الاجتماعية العامة التي تتمثل في حضارة الأمة ونظمها وعرفها العام تكتنف الإنسان منذ نشأته، فتتجه بتربيته

---

(١) الطور: ٢١.

وجهة معينة، وتشكل ميوله وجسمه وعقله وخلقه تشكيلًا خاصًّا.

إن أساس التربية الأول في الإسلام هو القرآن الكريم؛ الذي يهذب الأخلاق، ويُقَوِمُ النفوس، ويحث على مكارم الأخلاق، وقد جمعت التربية الإسلامية منذ أول ظهور الإسلام بين تأديب النفس، وتصفية الروح، وتثقيف العقل، وتقوية الجسم، وصقل المواهب، فهي تهتم بالتربية الدينية، والخلقية، والجسمية، والعلمية، دون تضحية بنوعٍ منها على حساب الآخر.

تبدأ التربية الإسلامية عن طريق المحاكاة والتلقين والقدوة الحسنة، فيقبل على الخير ويبتعد عن الشر، ويعمل على البر بأهله وجيرانه وبني جنسه، والتواصي بالحق مع مجتمعه من مساعدة الضعيف وإطعام اليتيم والمسكين، والتواصي بفعل الخيرات وترك الموبقات ، فما يميز التربية الإسلامية في جوهرها هو هذا السلوك القويم الذي يربط المخلوق بالخالق ، ويستمد من مخافة الله بعد معرفته حق المعرفة ، حتى يصبح سلوك المسلم صادرًا عن معرفة الله واستحضار عظمته، وأنه المطلع على الإنسان، العالم بخبايا نفسه ، وأنه لا تخفى عليه خافية، فالتربية الإسلامية في جوهرها تتطلب من الناشئ ذكرًا أو أنثى أن يكون إنسانًا فاضلًا، مهذب النفس، نافعًا في الحياة العملية، وأي ناشئ ابنًا كان أو بنتًا يجب توجيهه وتدريبه وتعليمه ليكون إنسانًا كاملًا في خلقه، مستقيمًا في سلوكه، يحب للناس ما يحب لنفسه، ويعمل على تنمية مجتمعه ووطنه.

وتُعَدّ السنة النبوية المطهرة هي الأساس الثاني للتربية في الإسلام ، فقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى في الرفق في تربية الأطفال وعلاج أخطائهم بروح الشفقة والرأفة والعطف والرحمة، واعتبر الغلظة والجفاء في معاملة الأولاد نوعًا من فقد الرحمة من القلب، ولا شك أن القسوة في معاملة الولد مثبطة للهمة، قاتلة للذكاء، مؤدية للذل، باعثة على النفاق، والنبي ﷺ قد عمل على إدخال السرور في قلوب الأطفال حيث كان يُقبّلهم ويداعبهم ويحملهم في صلاته، ويقوم ﷺ بتنظيفهم، وقد ورد في السنة المطهرة الكثير من الأحاديث في هذا المجال ومنها ما رواهْ عَبْد الله بْن شَدَّادٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي إِحْدَى صَلَاتَيِ الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَوَضَعَهُ ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى ، فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الصَّلَاةَ ، قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»(١)، وكان ﷺ يتلطف ويترفق بربيبه

(١) سنن النسائي ، كتاب التطبيق ، بَابُ هَلْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ سَجْدَةٌ أَطْوَلَ مِنْ سَجْدَةٍ ، حديث رقم : ١١٤١.

عمر بن أبى سلمة (رضي الله عنه) حيث قال : كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ فقال: «يَا غُلامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ"[١]، وكان يداعب الأطفال ويسرِّي عنهم، ويخفف أحزانهم، فكان يقول ﷺ لأخي أنس بن مالك : «يا عمير ماذا فعل النغير»[٢]، وكان ﷺ يخطب من فوق المنبر ، فأقبل الحسن والحسين يمشيان ويعثران، فنزل (عليه السلام) من المنبر فأقبل عليهما وهو يقول: صدق الله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ والله عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٣]، فأخذهما وقبلهما ، ووضعهما في حجره ، وواصل خطبته[٤].

ومن هذه النصوص وغيرها يتبين مدى عناية المصطفي ﷺ بالأطفال، وشفقته بهم وحرصه على إدخال السرور عليهم، فالأطفال هم أمل الحاضر وكل المستقبل، فيحتاجون إلى بناء شخصيتهم وإشعارهم بالاهتمام بهم، وهذا بلا شك يترك آثارًا حسنة في نفوسهم، ويُعوِّدهم على الثقة بالنفس، ويربي فيهم العزة والأنفة وحب الغير والتآخي ، ويشيع بينهم المودة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ، حديث رقم: ٥٣٧٦، وصحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب ، حديث رقم: ٢٠٢٢.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب الانبساط إلى الناس ، حديث رقم: ٦١٢٩، وصحيح مسلم، كتاب الآداب ، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته ...إلخ ، حديث رقم: ٢١٥٠. والنغير: اسم لطائر فقده هذا الغلام .

(٣) التغابن: ١٥ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، أبواب الجماعة، باب الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث ، حديث رقم: ١١٠٩.

وتتجلى منزلة الأولاد في حياة الناس فيما قاله الأحنف بن قيس عندما سأله معاوية (رضي الله عنه): ما تقول في الولد؟ قال: يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم، ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلًا ثقيلًا فيملوا حياتك، ويودوا وفاتك، ويكرهوا قربك، فقال معاوية (رضي الله عنه) : لله ضرك يا أحنف(1)، فعلى الآباء والأمهات بذل المزيد والمزيد من توجيه أبنائهم وبناتهم والأخذ بأيديهم إلى بلوغ أعلى الدرجات وأكمل الصفات، وهكذا يكون الناشئ رشيدًا سعيدًا يسير في حياته على نورين: نور الوحي، ونور العقل، يقول تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾(2).

وبهذه التربية القيمة والتوجيه الحسن والتعليم الرشيد يتكون لدينا مجتمعٌ آمنٌ مطمئنٌ تظهر فيه الفضيلة وتختفي منه الرذيلة، ويستتب الأمن، ويعم الرخاء، ويتحقق في هذا المجتمع قوله تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾(3)، وذلك في وسطية واعتدال ورحمة، يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً

(1) إحياء علوم الدين للغزالي: جـ ٢ /ص ٢١٨.

(2) النور: ٤٠.

(3) آل عمران: ١١٠.

وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1]، فيعمل كل فرد من أفراد هذا المجتمع الرشيد على تحصيل المصالح وتكثيرها، ودفع المفاسد وتقليلها، وجلب خير الخيرين ، ودفع شر الشرين بما يحقق الأمن والسلام للمجتمع.

* * *

(١) البقرة: ١٤٣.

القيم الإسلامية ودورها في الأمن المجتمعي(*)

إن أحوال حياة الناس تُعَبِّر بشكل قوي عن مدى تحقق الأمن أو اضطرابه في أوساطهم، فالناس يأمنون على حياتهم وأرواحهم في وسط زماني ومكاني يسوده الأمن، ومن ثم كان الأمن هو أساس استقرار الحياة وسر سعادتها، ولضمان الاستقرار الذي يحقق المقصد الأسمى لوجود الإنسان على هذه الأرض، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(1). وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(2)، وهناك قيم متعددة تحقق الأمن المجتمعي، ومن هذه القيم ما يلي:

(١) احترام حياة الإنسان :

من المؤكد أن الوسط الاجتماعي الذي يسوده سفك الدماء وإزهاق الأرواح هو وسط مضطرب أمنيًا، ويقابله الوسط المستقر أمنيًّا الذي يأمن فيه الناس على حياتهم وأرواحهم وممتلكاتهم ، وقد عنيت المبادئ الإسلامية بالأمن المجتمعي باحترامها حياة الإنسان، فنبذت الوأد الذي كان معلومًا من قبل ، وحرَّمت قتل الأبناء ، الذي قد يحث اليوم أو في الغد ، وحرَّمت اقتراف

(*) الشيخ / محمد أحمد حسين ، المفتي العام للقدس وفلسطين .

(١) هود: ٦١.

(٢) البقرة: ٣٠.

جرائم القتل، سواء البدء به أو الإسراف في الرد عليه، ومنعت الاقتتال الداخلي في المجتمع، وحذرت من الأسباب التي تفضي إليه، ووضعت العلاج في حال الاقتراب منه، وغرست في قلوب المسلمين وعقولهم وسلوكهم قيم الفضيلة، ونزعت منهم الرذيلة.

وقد ورد الحديث عن احترام حياة الإنسان وتحريم التعدي عليها في أكثر من خمسين موضعًا قرآنيًّا في دلالة واضحة على المكانة الرفيعة التي توليها القيم الإسلامية لحياة الإنسان ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾[1].

(٢) **تحريم الانتحار**:

ومن مظاهر القيم الإسلامية في حفظ الأمن المجتمعي أنها تحظر الانتحار، فقتل النفس من قبل صاحبها محرم في ضوء الأحكام الإسلامية، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[2].

وبين الرسول ﷺ العقاب الشديد الذي ينتظر المنتحر في الآخرة ، فقال ﷺ: « مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ

(١) الإسراء: ٣٣.

(٢) النساء: ٢٩.

خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا »[1].

فالانتحار يحدث شكلًا من أشكال الاضطراب الأمني في الأوساط الاجتماعية التي يقع فيها، فيجعل الناس قلقين على ذويهم وأبنائهم من أنفسهم، يحصل هذا عند التجرد من قيم الإيمان الصحيح، أو عند وجود خلل في التحلي بها، فتضطرب المعايير، ويصبح الهروب من الحياة بالانتحار مخرجًا يلجأ إليه بعض المضطربين لأسباب عمادها اليأس الذي يتناقض مع قيم الإيمان والأمل والتفاؤل التي يبثها الإسلام في نفوس المؤمنين ، فالله تعالى يقول: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ ﴾[2].

وهكذا تؤكد المبادئ الإسلامية من خلال موقفها من الانتحار على قيمة الأمن الحياتي للإنسان ، فهي تحث على حمايته حتى من نفسه ، وتمنعه من التعدي عليها، مما يساعد على مقاومة الاضطراب المجتمعي ، ويسهم بالتالي في تحقيق الأمن المجتمعي.

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الطب ، بَابُ شُرْبِ السُّمِّ وَالدَّوَاءِ بِهِ وَبِمَا يُخَافُ مِنْهُ وَالخَبِيثِ ، حديث رقم: ٥٧٧٨ ، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان ، بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ، حديث رقم : ١٠٩ .واللفظ لمسلم .

(٢) الزمر: ٥٣.

(٣) المحافظة على الأبناء:

عني الإسلام بالمحافظة على حياة الأبناء، وخصَّ هذه القيمة بالمزيد من التأكيد، وبأساليب متنوعة خلال حديثه عن العديد من القضايا، فحث على رعاية الأبناء وحضانتهم وإرضاعهم لتحقيق الأمن الحياتي والغذائي للأطفال، فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾[1]، ويأتي هذا مؤكدًا للحق الذي فرضه الله للطفل في الرضاع بقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾[2].

وربط الإسلام احترام حياة الأبناء بمبادئه، في إشارة إلى مدى الاهتمام الذي يوليه الإسلام لهذه القيمة، فيبلغ بها درجة رفيعة في نفوس حامليه، ليرعوها حق الرعاية، وينزلوها خير منزلة، مما يجلب في النهاية الأمن للطفل الذي يولد وينشأ في أوساطهم الاجتماعية.

ومن الأساليب القرآنية في شجب الاعتداء على حياة الأبناء أنه قدم الحديث عن خسارتهم قبل الحديث عن جريمتهم، التي وصف اقترافها بالسفه، في إشارة دالة على فظاعة هذا الجرم وبشاعته، فقال تعالى: ﴿قَدْ

(١) الطلاق: ٦.

(٢) البقرة: ٢٣٣.

﴿خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾[1]، أي هلك الذين قتلوا أولادهم، وذلك من وأد البنات، وكانوا في الجاهلية يدفنون البنت حية حتى كان بعضهم يقتل ولده ويربي كلبه، ووصف الله فعلهم بأنه ينم عن سفه فاعله وجهله وطيشه، فلا بصيرة ولا حجة عقلية ولا شرعية لهم[2].

ومن قبيل قتل الأبناء سفهًا بغير علم تحريضهم على قتل أنفسهم في الأعمال الإرهابية ظنًا منهم أنهم يخدمون الدين ويقتلون أنفسهم في سبيله ، ومتناسين أن الوصول إلى الغايات الشريفة لا يمكن أن يتم بتلك الوسائل الخسيسة ، ولهذ كان وصف السفه صادقًا عليها وشاملًا لها ، وهم ومن حرضوهم على قتل أنفسهم من الخاسرين كما تفيد الآية الكريمة، وورد النهي الصريح والمباشر عن قتل الأبناء بسبب الخوف من الفقر، مع ربط هذا النهي بقضية عقائدية، فذكر الله بأنه هو صاحب الشأن بمنح الرزق للمواليد وآبائهم، إضافة إلى وصف جريمة قتل الأبناء بالخطأ المفضي للإثم الكبير، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ[3] نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا﴾[4].

---

(١) الأنعام: ١٤٠.

(٢) روح المعاني: جـ٤ /ص٢٨٠.

(٣) الإملاق: هو الافتقار وكثرة إنفاق المال وتبذيره حتى يورث حاجة. (لسان العرب لابن منظور) ، مادة : (ملق).

(٤) الإسراء: ٣١.

(٤) **القصاص**:

لم يترك الإسلام الأرواح مرهونة بحماية القيم أو سد ذرائع التعدي عليها فقط؛ بل شرع القصاص لمنع ذلك التعدي ، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾[1]، وقد جعل الله تعالى القصاص فرضًا من الفروض، فقال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾ وأشار إلى حكمة عظيمة من تشريع القصاص، فقال تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾[2]، أي أن في قتل القاتل صونًا للأرواح والدماء.

ومما هو معلوم أن القصاص يحقق الأمن المجتمعي، فهو يقلل من القتل، باقتصار القتل على القاتل، فيدفع المفسدة عن الأنفس، حتى قيل: «القتل أنفى للقتل»، أي أن قتل القاتل فحسب يقلل من اتساع نطاق القتل الذي يمكن أن يحدث نتيجة الثأر المتبادل بين ذوي القاتل والمقتول.

كما أنه يمثل ردعًا عن جريمة القتل من ناحية، وشفاءً لغليل أولياء دم المقتول وأهله من ناحية أخرى، مما يحجزهم عن أخذ حقهم بأيديهم دون رقابة من قانون أو قضاء.

فالقصاص يفضي إلى الحياة في حق من أراد أن يكون قاتلًا، وفي حق من

---

(١) البقرة: ١٧٨.

(٢) البقرة: ١٧٩.

أريد له أن يكون مقتولًا، وفي حق غيرهما أيضًا، فمن أراد أن يكون قاتلًا إذا علم أنه لو قَتَلَ قُتِلَ، فإنه لا يقتل ليبقى حيًّا، ومن ثم فمن أريد له أن يكون مقتولًا يبقى هو الآخر حيًّا غير مقتول، وأما في حق غيرهما فلأن في تقرير القصاص ما يمنع القتل، وفي ذلك حياة للكل، غير أن القصاص أيضًا له ضوابطه المقررة في النصوص الشرعية الواردة في هذا المجال، ومنها:

أ- **ربط تنفيذ القصاص بقرار القضاء**:

فالإسلام حين شرع القصاص وضع له الشروط والأوصاف قبل التنفيذ، فاشترط البينة وثبوت الجرم، ومطابقته لاستحقاق العقاب، والذي ينظر في ذلك ويبتُّ فيه هو الإمام أو من ينيبه من المختصين بمنع الجرائم وحفظ الأمن ، أي أن الأمور ليست متروكة على غاربها، وليس لأحد أن يطبق القانون بهواه ويده، وإنما يلجأ الجميع إلى القانون العام الذي يبتُّ فيه القضاء، وينفذ من قبل المخولين بالتنفيذ، وتحت مراقبة الجهات المسئولة.

ب. **النهي عن الإسراف في القتل**:

وفي الوقت الذي شرع الإسلام فيه القصاص فإنه وضع حدودًا تمنع تجاوز الحق فيه؛ إذ إن مثل هذا التجاوز يقلب الأمور رأسًا على عقب، فيصبح الحق باطلًا، فلما شرع الله القصاص وجعل لولي المقتول بموجبه سلطانًا حذره من تجاوز حدود السلطة الممنوحة له ، وعبر عن ذلك بلفظ الإسراف، فقال تعالى: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا

يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴾[1].

والنهي عن الإسراف في القتل يشمل ثلاث صور، وهي:

الأولى : أن يقتل اثنين أو أكثر بواحد، كما كانت العرب تفعله في الجاهلية.

الثانية : أن يقتل بالقتيل واحد فقط، ولكنه غير القاتل، فقتل البريء بذنب غيره إسراف في القتل منهي عنه في الآية أيضًا.

الثالثة : أن تقتل نفس القاتل وتمثل به، فإن زيادة المثلة إسراف في القتل أيضًا.

ج - **العفو والصفح والعدل**:

حث الله تعالى على التحلي بعدد من القيم في سياق الحديث عن القصاص والمعاقبة بالمثل، ومن تلك القيم: العفو والصفح والعدل والمعروف والتسامح والإحسان والصبر، فقال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[2]. فالجزاء بالمثل عدل، يوفر اطمئنان الناس على حقوقهم، مما يساعد في تحقيق الاستقرار والأمن المجتمعي.

---

(١) الإسراء: ٣٣.

(٢) الشورى: ٤٠ - ٤٣.

بيد أن تلك الأخلاق في التنفيذ لن تكون مفيدة إلا إذا حققت غايتها وأثمرت نتيجتها في تحقيق الأمن ومنع معاودة ارتكاب الجريمة ، فإن كانت لا تحقق ذلك فإنها لا تكون مطلوبة ، ومن ثم كان تقريرها واردًا في إطار تحقيق الأمن ومنع معاودة ارتكاب الفعل الذي صدر العفو من العقوبة عنه، ويلاحظ في آية القصاص أن الله تعالى جعل لولي المقتول من السلطة على القاتل، أو العفو عن قتله وأخذ الدية ، أو العفو عنه مطلقًا بلا قتل ولا دية، يقول رسول الله ﷺ: « وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يُعْطَى - يَعْنِي الدِّيَةَ -، وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ أَهْلُ الْقَتِيلِ»[1].

وقد نص القرآن الكريم على حالة العفو كما نص على حالة القصاص، فقال في العفو: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2]، مما يشير إلى أن الدية هي البديل المترتب على العفو والقصاص، إلا إذا تبعها عفو آخر.

(٥) إشاعة روح الأخوة والمحبة والألفة والإيثار بين الناس:

ربط الإسلام بين التحاب والأمن المجتمعي، فقال رسول الله ﷺ: «لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، بَابُ تَحْرِيمِ مَكَّةَ وَصَيْدِهَا وَخَلَاهَا وَشَجَرِهَا وَلُقَطَتِهَا ، إِلَّا لِمُنْشِدٍ عَلَى الدَّوَامِ، حديث رقم: ١٣٥٥.

(٢) البقرة: ١٧٨.

فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[1]، فالمجتمع الذي تعمه المحبة والألفة، ويتميز بالإيثار ويسوده الوئام تزول منه دواعي الخصام والشحناء، وينعم بالأمن والاستقرار إلى أبعد مدى وأبلغ مستوى، فمن آثر غيره أحبه، والحب مانع من الإضرار بالمحبوب فضلًا عن قتله ، والإيثار من دواعي تعزيز المحبة، فقد أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله، وأحبني الناس، فقال رسول الله ﷺ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ الله، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»[2].

(٦) إصلاح ذات البين:

لم تكتف الأحكام الإسلامية بالنهي عن القتل؛ بل دعت إلى عمل كل ما يمكن من أجل وقف نار الفتن التي تؤجج الخلافات والاقتتال بين أبناء المجتمع الواحد ، فدعت إلى ممارسة دور الإصلاح بين المختلفين ؛ لئلا يتركوا وحدهم في مواجهة خلافاتهم ومشاكلهم مع بعضهم ، قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ الله بَيْنَهُمَا إِنَّ الله كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[4]،كما وجهت عند فشل محاولات الإصلاح بين

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ ، وَأَنَّ مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ إِفْشَاءَ السَّلَامِ سَبَبًا لِحُصُولِهَا ، حديث رقم : ٥٤.

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب الزهد في الدنيا ، حديث رقم : ٤١٠٢ .

(٣) النساء: ١٢٨ .

(٤) النساء: ٣٥.

المتخاصمين، إلى المبادرة بالانتصار للمظلوم من الظالم الذي بغى، سواء أكان فردًا أم جماعة ، ثم السعي بالإصلاح بينهما بعد ذلك ، فقال سبحانه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[١].

وختامًا.. فإن العناية التي توليها مبادئ الإسلام لتحقيق الأمن المجتمعي في جانب حياة الإنسان، تسهم بلا شك في تحقيق الطمأنينة والاستقرار للمجتمعات، وفي القضاء على ظواهر الفوضى التي تهدد أمن الناس واستقرارهم .

*   *   *

(١) الحجرات: ٩.

دور التعليم واللغة في تحقيق الأمن المجتمعي(*)

حين يأتي الحديث عن التعليم فهذا يعني بالضرورة أننا أمام قضية أمن قومي ومجتمعي من طراز خاص، باعتبار أن التعليم في مراحله المختلفة خطاب العقل والفكر والوعي والوجدان، وأساس اكتشاف قدرات الفرد على التجديد والنقد والتحليل والإبداع والمناقشة والحوار، وبالتعليم تبرز قيمة استشعار الهوية واحترام الذات والخصوصية الثقافية بقصد عدم الذوبان أو التماهي مع الآخر، وما قد يؤدي إليه ذلك من التراخي الذهني والاستلاب الحضاري.

من هنا يتمحور الجدل حول أهمية قدرات المدرسة المعاصرة والجامعة والبيت مع قدرة الرسالة الإعلامية على بث خطاب ثقافي متميز فيما يتعلق بالهوية واللغة واحترام الكيان القومي والخصوصية الثقافية يكون قادرًا على النهوض بالوعي الحضاري للأمة، وتحقيق الأمن المجتمعي لأجيالها من النشء والشباب.

المسألة التعليمية واحترام الهوية والخصوصية الثقافية:

يأتي مفهوم الهوية من واقع إدراك الذات لطبائع حدودها المعرفية والفكرية، مع تعزيز النسق المجتمعي والتاريخي والإيقاع النفسي والوجداني

(*) أ.د/ عبد الله التطاوي، مستشار رئيس جامعة القاهرة للشؤون الثقافية .

والجمالي الذي تتحرك في إطاره منظومة العلاقات الحاكمة للجماعة والفرد حين يتصالح القانون الداخلي له مع كل ما حوله من أعراف ودساتير وقيم وعادات وتقاليد، بعيدًا عن محنة الانقطاع أو الانفلات أو صناعة الخصومة.

ويتسع مفهوم الهوية لينسحب على لغة الفرد والمجموع في القدرة على التعبير عن الطبيعة النوعية للفعل التعليمي في مجموعة دلالاته التي تتبلور حول الذاتية والذاكرة؛ لتظل لغة التعليم دارًا للهوية، وبيتًا للكيان الإنساني، ومدخلًا أصيلًا للخطاب الإقناعي والجمالي.

هنا تبدأ معرفة الذات مع كفاءة المتكلم في توصيل رسالته ، وامتلاك آليات الاتصال ومهارات الخطاب ، لتظل مدخلًا محكمًا للتفاعل والتلاقي مع الآخر بقدر ما تحمله الضمائر من دلالات الخطاب المتكلم والغائب ، وبقدر ما تتيحه اللغة من فرص التواصل مع الآخر، واستيعاب فكره وإبداعه مع إنتاج مجالات للحوار معه.

وتظل للغة التعليم دقتها الأصيلة في تقدير الهوية الفردية والجماعية باعتبارها رمزًا اتصاليًّا وفعلًا دلاليًّا ومجالًا معرفيًّا متعدد الأبعاد والمستويات، وباعتبارها وسيلة للتعليم والتعلُّم ونقل المعرفة ، وصناعة العلم والإبداع وتشكيل العالم المشترك للأفراد والجماعات ، مما يعد مدخلًا للتصنيف على أساس اللغة ، وتقدير منازل التعلم في حدود الخصوصية الثقافية، بمنأى عن التهميش والتسطيح ، ومن ثم يبدأ الحوار من قوة أهل

اللغة أنفسهم، واطراد قوتها من خلال قوتهم بمنطق الجاحظ القديم أو ابن خلدون، وبمنطق القياس الطبيعي للحياة اللغوية في مسارات النقاء والتداخل والتلاقي والافتراق والتجانس؛ سعيًا إلى حماية مفهوم الخصوصية الثقافية من الانتهاك، والتعرف على حدود الهوية عبر مناهج التعليم في أي من مراحله.

وتبدأ الخصوصية الثقافية باحترام منظومة القيم والأفكار والمبادئ والمعتقد تحت مظلة الأوطان وفي حماها، مع تجاوز محنة الاغتراب والتدني، وهنا يأتي دور الرسالة الإعلامية في تقدير أهمية اللغة وأهلها وإعداد خريطة لغوية للنشء والشباب بعيدًا عن دوائر الابتذال والنمطية والتسطيح، كما تبدأ الخصوصية الثقافية أيضًا بصناعة مزاوجة هادئة بين الموروث والمعاصر بشرط إدراك سبل الحوار والمراجعة، وبدءًا من مساءلة القديم إلى تنمية الكفاءة اللسانية بتعلم أكثر من لغة.

اللغة العربية والهوية:

تعتبر اللغة العربية وعاء الثقافة ووسيلة التفكير الذي يحدد رؤية أبنائها للعالم ونواميسه؛ لذلك شكلت معرفتها أهم ركيزة لتحصين الهوية والذات والشخصية القومية، ومن ثم الأمن المجتمعي، ويظل الدفاع عنها واجبًا - بالضرورة - بما يحفظ لها مكانتها المنوطة بها بين الأمم الأخرى كما جاء في قانون ابن خلدون اللغوي: إن غلبة اللغة بغلبة أهلها، وإن منزلتها بين

اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم.

ولعل رؤية ابن خلدون قد لخصت قصة عطاء العربية على مدار قرون طوال من عمر الزمن طالما أنتج فيها العرب العلوم والفكر والمعارف إلى جانب ما أفرزته قرائحهم من مواد الإبداع والثقافة منذ أن تكلم العلم بالعربية في معظم أنحاء الأرض، وشاركت فيه كل الجنسيات من أهل الأديان والملل تحت مسمى الثقافة العربية.

من هنا ارتسمت صورة الشخصية العربية الموسوعية بقدر قدرتها على العطاء المعرفي الذي طالما شكل نمطًا من خصوصيتها الثقافية والوجدانية التي لم تفرط فيها، على الرغم من كثرة التحديات، ومع هذا ظلت اللغة قادرة على الوفاء بحقها، فظلت بيت الكينونة والهوية، وكانت مصدر التعبير عن الذات القومية في ظل مفاهيم الأمن المجتمعي الذي لا يقبل التهاون أو التهميش، مع احترام كيانات الشعوب واعتبارات تاريخ الأمم.

وانطلاقًا من هذا الفهم الواسع للدور اللغوي والأداء التعليمي في صورته القومية والوطنية يجب أن نبقى على وعي بأهمية ذلك في تحقيق الهوية والانتماء الوطني والأمن المجتمعي، وذلك من خلال أمرين هما:

(١) منطلق وطني يؤكد ظاهرة الانتماء اللغوي وحتمية التعليم، مع ضرورة النهوض بالإنتاج العلمي والمعرفي الذي يرفع من شأن اللغة حتى ترتقي بعلو منزلة أهلها حين يتجاوزون دور المستهلك إلى دور المنتج القادر على

تسويق إنتاجه ونشر فكره وإبداعه.

(٢) منطلق قومي يبدأ بالانتماء للأوطان، ويرقى إلى المنظور العام للأمة، ثم المنظور المتكامل للإنسانية.

وختامًا.. فإنه بقدر الاهتمام بالتعليم واللغة ودورهما في إثراء الفكر والعلوم ، والنهوض بما يتوقع منهما ، وما يُنْتَج خلالهما من العلم والمعرفة والإبداع ، يظل دورهما واضحًا جليًّا في ترسيخ الخصوصية الثقافية وتنمية الهوية الوطنية ، ودعم ركائز الأمن المجتمعي.

*　　*　　*

حق التعلم[*]

إن حق التعلم من حقوق الإنسان الثابتة الواجبة في الإسلام، وهو أحد مقومات الأمن المجتمعي ، والحق في اللغة: خلاف الباطل، وهو مصدر حق الشيء يحق إذا ثبت ووجب، وفي القاموس: إن الحق يطلق على المال والملك والموجود الثابت، ومعنى حق الأمر: وجب ووقع بلا شك، وعرفه الجرجاني(١) بأنه: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، وهو اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته. ومن معانيه أيضًا: النصيب، واليقين، وحقوق العقار: مرافقه.

والحق في الاصطلاح: هو الحكم المطابق للواقع، ويطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك، ويقابله الباطل، أو الواجب الثابت، وهو قسمان: حق الله وحق العباد(٢)، والمعنى المراد هنا: هو الوجوب والثبوت والفرض.

والتعلُّم في اللغة: مصدر تعلَّم، وهو مطاوع التعليم، يقال: علَّمته فتعلَّم، والتعليم: مصدر علَّم، يقال: علَّمه إذا عرَّفه، وعلمه وأعلم إياه فتعلمه، وعَلِم الأمر وتعلَّمه: أتقنه، والعلم نقيض الجهل، والعلم أيضًا هو:

(*) أ.د/محمد نبيل غنايم، أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة .

(١) التعريفات للشريف الجرجاني، ص ٨٩ .

(٢) انظر: المصباح المنير، والقاموس المحيط، ولسان العرب، والمعجم الوسيط: مادة (حقق).

اعتقاد الشيء على ما هو عليه على سبيل الثقة، وجاء بمعنى المعرفة أيضًا.

قال الراغب: التعليم والإعلام في الأصل واحد، إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكرار وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم، وربما استعمل التعليم بمعنى الإعلام إذا كان فيه تكرير، ويدخل فيه التثقيف والتدريب والتأديب(١)، والمعنى المراد هنا: تحصيل كل ما يفيد من العلم والثقافة والتدريب والخبرة.

ومما سبق يتضح أن «حق التعلم» هو: ثبوت ووجوب توفير وتحصيل العلم والثقافة والخبرة والتدريب لكل إنسان ، فحق التعلم فرض ثابت لكل من تتوافر فيه القدرة العقلية على تحصيله ، وقد قرَّره الإسلام للإنسان باعتباره حقًّا أصيلًا له في كل الشـرائع وكافة القوانين ، ومما يدل على ذلك ما يلي:

أ) من القرآن الكريم: قول الله تعالى ممتنًا على عباده جميعًا بتولي هذه المهمة بنفسه سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ (٢)، وقال تعالى ممتنًا على رسوله ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي

(١) المعجم الوسيط: مادة (علم)، ومفردات الراغب: ص ٣٤٨.

(٢) الرحمن: ١ -٤.

عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [١]. وقال لرسوله الكريم ﷺ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [٢]، وقال لملائكته في سياق بيان فضل سيدنا آدم عليهم بالعلم: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [٣].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تبين وتثبت أن الله تبارك وتعالى صاحب الفضل في تعليم البشر، بما يدل على إثبات ذلك الحق لهم، وإلا لما قام الله تعالى به، كما كانت مهمة الأنبياء والمرسلين تعليم البشر وتنويرهم وهدايتهم إلى كل خير، فقال الحق تبارك وتعالى عن الرسول ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [٤].

(١) العلق: ١-٥.

(٢) النساء: ١١٣.

(٣) البقرة: ٣١-٣٣.

(٤) الجمعة: ٢.

ب) من السنة المطهرة: بدأت كتب السنة الصحيحة ترتيب أبوابها وكتبها بكتاب عن العلم، كما نقل عن البخاري ومسلم وغيرهما، ومما جاء في العلم عن النبي ﷺ: "مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"[1].

وقوله ﷺ: «لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»[2].

وفي باب (فضل من عَلِمَ وعَلَّمَ) أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[3].

وعن وجوب نشر العلم والتعليم ترجم البخاري بابًا بعنوان: (كيف يقبض العلم؟) وتحته قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر ابن حزم: «انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ الله ﷺ فَاكْتُبْهُ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ العِلْمِ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، حديث رقم: ٧١.

(٢) المصدر السابق، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، حديث رقم: ٧٣.

(٣) المصدر السابق، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، حديث رقم: ٧٩.

وَذَهَابَ العُلَمَاءِ، وَلاَ تَقْبَلْ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ: «وَلْتُفْشُوا العِلْمَ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لاَ يَعْلَمُ، فَإِنَّ العِلْمَ لاَ يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا»[1]، وهذه إشارة واضحة إلى تعميم هذا الحق ونشره وإتاحته للجميع، في إشارة إلى مجانية التعليم واستمراره وإعلانه؛ لأنه لو كان سرًّا خاصًّا لهلك.

والمرأة في حق التعليم كالرجل، فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)، قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنْ وَلَدِهَا، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: وَاثْنَتَيْنِ»[2].

ومن هذه الآيات والأحاديث، وغيرها كثير، نتبين مدى اهتمام الإسلام بحق التعلم لكل إنسان؛ لأنه سبيل إلى الحياة الكريمة، وما يهيئ إليها من التقدم والرقي والأمن في شتى مجالاتها، فمما لا شك فيه أن حق التعلم واجب ثابت لكل إنسان، وهذا من حيث العموم أو الأصل الذي قال عنه النبي ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[3]، وقوله ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ

(١) المصدر السابق، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، حديث رقم: ١٠٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم، حديث رقم: ١٠١.

(٣) سنن ابن ماجه: افتتاح الكتاب، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم: ٢٢٤.

أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ»[1].

فالتعليم باعتبار العموم هو فرض كفاية، وباعتبار الخصوص هو فرض عين، قال النووي: «تعليم الطالبين فرض كفاية، فإن لم يكن هناك من يصلح إلا واحد تعيَّن عليه، ويلزم تعليم العلم اللازم تعليمه، وليس كذلك الأمر في نوافل العلم التي لا ضرورة بالناس إلى معرفتها»[2]، وقال ابن الحاج: «ينبغي للعالم أو يتعيَّن عليه أنه إذا رأى الناس قد أعرضوا عن العلم عَرَضَ نفسه عليهم لتعليمهم وإرشادهم وإن كانوا معرضين»[3].

وإذا كان الأمر كذلك من تلازم بين العلم والتعلُّم، أو بين وجوب التعلُّم ووجوب تقديم العلم لطالبه، فإن علينا أن نعرف العلم الذي نتعلمه ونحرص على تعلُّمه، وآداب كل من المعلم والمتعلم.

أما العلم فهو: إدراك الشيء بحقيقته، ويطلق على اليقين، وهو نور يقذفه الله تعالى في قلب من يحب، ويطلق أيضًا على: مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة، كعلم الفقه وعلم الأرض وعلم الكونيات وعلم الآثار ، ويطلق العلم حديثًا على: العلوم الطبيعية التي تحتاج إلى تجربة ومشاهدة واختبار ، سواء كانت أساسية ، كالكيمياء والطبيعة والفلك

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم ، حديث رقم : ٣٦٤١.

(٢) المجموع للنووي : جـ ١ /ص٥٢.

(٣) المدخل لابن الحاج : جـ ٢ /ص٨٨.

والرياضيات والنبات والحيوان والجيولوجيا، أو تطبيقية، كالطب والهندسة والزراعة والبيطرة وما إليها.

ومن يقرأ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يجد أن العلم المطلوب في الإسلام هو العلم بمعناه العام الواسع الشامل، الذي يجمع علوم الدنيا وعلوم الدين، وكل ما ينفع الإنسان والمجتمع في الدنيا والآخرة، حيث وردت مادة العلم في القرآن الكريم والسنة الصحيحة مطلقة عن أي قيد، اللهم إلا ما ورد النص بالنهي عنه وتحريمه. وفيما عدا ذلك، فجميع العلوم مطلوبة وتعلمها مطلوب شرعًا بدرجات متفاوتة من الوجوب أو الندب، فالعلم في الإسلام هو: كل ما يعود على الإنسان في نفسه أو حياته أو ماله أو آخرته بالنفع، وكل ما يفيد المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان من اقتصاد وعلاقات دولية، وعلى هذا تكون العلوم الشرعية والأساسية والتطبيقية، من فقه أو كيمياء أو زراعة أو طب أو تجارة أو إدارة أو تكنولوجيا كلها دينية، أي مطلوبة شرعًا للدنيا والدين.

وأما فضيلة التعلم والتعليم فظاهرة، فإن العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلبًا لتحقيق الأفضل، وكان تعليمه إفادة للأفضل، وبيانه: أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا، ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا، وليس تنظيم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين، التي تنحصر في ثلاثة أقسام :

أحدها: أصول لا قوام للعمل دونها، وهي أربعة: الزراعة ، والحياكة، والبناء ، والسياسة .

والثاني: ما هو تهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات الأصول ، كالحدادة والغزل والحلاجة.

الثالث: ما هو متمم للأصول ، كالطحن والخبز ، وأشرف هذه الصناعات بعد النبوة: إفادة العلم وتهذيب النفوس وإرشادها إلى الأخلاق المحمودة، وهو المراد بالتعليم.

وختامًا.. فإن حق التعلم فريضة ربانية وواجب إسلامي، وقد سبق الإسلام جميع الشرائع والمنظمات في إثبات حق التعلم، وأن العلاقة بين حق التعلم وحقوق الإنسان الأخرى علاقة حتمية، وأن تطبيقه والنهوض به ركيزة أساسية لتحقيق الأمن المجتمعي.

*　　*　　*

مخاطر الأمية على الأمن الاجتماعي
ودور أئمة المساجد في معالجتها(*)

الأمية نسبة إلى الأم، قال أبو إسحاق: معنى الأُمِّيّ المَنْسُوب إلى ما عليه جَبَلَتْه أُمُّه ، أي لا يَكتُبُ؛ لأن الكِتابة مُكْتسَبَةٌ فكأَنه نُسِب إلى ما يُولد عليه؛ وأصبحت كلمة الأمية تطلق على من لا يقرأ ولا يكتب، ثم تطورت الدلالة الاصطلاحية فأصبحت تدل على من لا يجيد استخدام الحاسب الآلي في القرن الحادي والعشرين ، وقد يتغير معناها إلى ما هو أبعد من هذا في المستقبل ، ومن الواجب أن تزال تلك الأمية - بحسبها - في كل عصر .

أهم مخاطر الأمية : الأمية هي أكبر روافد العواصف التي تعصف بالأمن المجتمعي ، ويبدو ذلك مما يلي :

١ - الأمية تؤدي بالإنسان إلى الفراغ ، والرسول ﷺ يقول: « نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ»(١)، فإذا تسرب الشباب من المدارس ، وبقي الآباء والأمهات بلا تعليم ؛ فالنتيجة أن هذه الأسر يكون من السهل اختراقها ، حيث تنفلت فيها القيم، وينفلت معها الأمن.

(*) سماحة الشيخ /عبد الله بن خالد آل خليفة (رحمه الله) رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في مملكة البحرين سابقًا .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، بَابٌ : لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ، حديث رقم : ٦٤١٢ .

٢- من المقطوع به أن فرصة الأمي في العمل والإنتاج أقل بكثير جدًّا من المتعلم، خاصة إذا تحرك مفهوم الأمية كما ذكرنا من أمية القراءة والكتابة إلى أمية الكمبيوتر، وبهذا تفرز الأمية جيوشًا من أصحاب البطالة، مما يؤثر بالسلب حتمًا على أمن المجتمع واستقراره.

٣- الأمية تؤدي إلى إفراز مقلدين غير مجتهدين، مبتدعين غير مبدعين، منهزمين غير منتصرين؛ مما يضاعف حالة الركود العام والتبعية للغير.

٤- الجهل والأمية يفضيان بالإنسان إلى ضعف القدرة على التفاهم مع الآخرين وتنمية الملكات التي لا يمكن أن تأتي إلا من خلال برنامج تعليمي منهجي متدرج، وهذا قد يؤدي إلى انفصام عرى الأمن المجتمعي بين الأزواج والزوجات، والأبناء والآباء، وإلى التفسخ الاجتماعي والأسري، مما يهدد الأمن الاجتماعي.

حث الإسلام على العلم ومحو الأمية:

في كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ كم هائل من الآيات والأحاديث التي تحث على طلب العلم ونبذ الأمية والجهل، وفيها الكفاية في خلق الدافع نحو التعلم وإنهاء الأمية، وإذا كانت كلمة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ أول كلمة في القرآن الكريم قد نزلت في قوم تغلب عليهم الأمية ، فإن القرآن الكريم إنما نزل ليقدم ما يصلح الناس أجمعين ويسعدهم في الدارين، ومن هنا كانت البداية

في أول سورة نزلت: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾(1)، وفي ثاني سورة : ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾(2)، فليست قراءة فقط بل قراءة وكتابة وتوثيق المعلومات ، ثم إن أطول آية في القرآن الكريم في سورة البقرة جاءت عن كتابة جميع الالتزامات، وهي تفيد في كتابة المعلومات أيضًا، وتوالت النصوص في كم هائل حيث وردت: مادة «العلم»: ٨٦٥ مرة ، و«التذكر»: ٢٨٤ مرة، و«السؤال»: ١٢٩ مرة، و«العقل»: ٤٩ مرة، و«التدبر»: ٤٤ مرة.

وفي أول فرصة أتيح للنبي ﷺ أن يفتح فصولًا لمحو الأمية فعل ذلك، وكانت بعد يوم بدر؛ حيث جعل فداء كل أسير أن يقوم بتعليم عشرة من الصحابة القراءة والكتابة ، في بادرة تظهر أن الحرب ضد الظلم والاعتداء لا يجوز أن تشغلنا عن الحرب ضد الجهل والأمية ، بل تجاوز الأمر من تعلم اللغة الأصلية إلى الحث على تعلم لغات أخرى ، كما أورد الإمام الكتاني في كتابه «التراتيب الإدارية في نظام الحكومة النبوية»: أن النبي ﷺ أمر زيد بن ثابت (رضي الله عنه) أن يتعلم العبرية ، فتعلمها في سبع عشرة ليلة ، ثم تعلم السريانية(3)، ولم يكن صدفة أن يعقد البخاري بعد كتاب بدء الوحي

(١) العلق: ١.

(٢) القلم: ١.

(٣) التراتيب الإدارية للإمام الكتاني : جـ ١ /ص ١٥٤، سنن الترمذي ، أَبْوَابُ الِاسْتِئْذَانِ وَالْآدَابِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَعْلِيمِ السُّرْيَانِيَّةِ ، حديث رقم: ٢٧١٥ ، ولفظه : "عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ أَبِيهِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَ : أَمَرَنِي رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) =

والإيمان كتاب العلم، وفيه قرابة مائة باب، كلها تشير إلى أن العلم ضرورة وفريضة، والإفادة من هذه النصوص قرآنًا وسنة يكون هو الدافع الأول الذي يدفع الآباء لتعليم أولادهم، بل يدفع الكبار لتعلم القراءة والكتابة وما يصلح شئونهم.

دور أئمة المساجد في محو الأمية:

لأئمة المساجد دور كبير في محو الأمية، لأن لهم بفضل الله تعالى في قلوب الأمة مكانة كبيرة ومنزلة رفيعة، حيث يرجع الناس إليهم طلبًا للفتوى ورغبة في حل مشكلاتهم العائلية والمالية، كما أن لهم قدرات في التعليم؛ حيث إن حفظهم للقرآن الكريم يضمن قدرًا كبيرًا من سلامة اللسان، والفصاحة والبيان، مما يغري الطلاب أن يستمتعوا بالتعلم منهم، وأن ترسخ لديهم الملكة اللغوية سريعًا، ونحن بحاجة إلى هذه السليقة العربية التي يتشربها الطالب من أستاذه تلقائيًّا.

كما أن للمساجد صبغة روحية تشد أي إنسان إليها، ويستشعر أنه جزء منها، بل يصل المسلم إلى ما وصفه الرسول ﷺ في صحيح البخاري حيث قال ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي

= أَنْ أَتَعلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ قَالَ : « إِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ » قَالَ : فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ قَالَ : « فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ ».

اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ »[1]، الأمر الذي يجعل المسجد مصدر جذب لبعض الفئات المستهدف محو أميتها، ومن ثم يكون دور أئمة المساجد في التوعية بمخاطر الأمية والإسهام في محوها دورًا كبيرًا ومؤثرًا.

وختامًا.. فإن من ركائز حماية ودعم الأمن المجتمعي القضاء على الأمية بجميع أشكالها وصورها، لدى جميع الأعمار، صغارًا وكبارًا، رجالًا ونساءً، كتحدٍّ فاصل بين التخلف والتطلع إلى تنمية متوازنة راشدة، كما يعد دور أئمة المساجد من أهم الأدوار في معالجة مخاطر الأمية والعمل على محوها.

* * *

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الآذان، بابُ مَنْ جَلَسَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ وَفَضْلِ المَسَاجِدِ، حديث رقم: ٦٦٠، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، بَابُ فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ، حديث رقم: ١٠٣١، واللفظ للبخاري.

دور المسجد ودور العبادة في تحقيق الأمن المجتمعي في الإسلام(*)

إن من أفضل النعم التي أنعم الله تعالى بها على البشرية هي نعمة الأمن، والأمن يعني حالة الاستقرار التي يعيشها الفرد والمجتمع بعيدًا عن الخوف وعن كل ما يهدد حياته أو مستقبله، وكلما تحقق الأمن في مجتمع ما ازدهر وتقدم؛ لذلك كان حرص كافة الدول على أن تجعل تحقيق الأمن في مقدمة خططها لسلامة الوطن وتقدمه، والأمن بمفهومه العام له أكثر من جانب، فجانب منه يهتم بغياب الجرائم أو كل ما يخل بالنظام العام والصحة العامة فضلًا عن السلامة العامة، وجانب منه يتصل بإشباع حاجات الإنسان الأساسية من تعليم وصحة وضمان اجتماعي، وكل هذه العوامل تؤدي إلى زيادة الاستقرار في المجتمع؛ مما يهيئ السبل للعمل الصالح الذي يقام عليه صرح التقدم للأمم والدول والأفراد.

وقد اهتم ميثاق الأمم المتحدة اهتمامًا واسعًا بتحقيق الأمن الخارجي لكل الدول، وذلك للاتصال الوثيق بين الأمن الداخلي والأمن الخارجي، وجعل الهدف الرئيس لهذه المنظمة هو تحقيق السلم والأمن الدوليين، ومن ثَمّ فالأمن له مدلول مهم في الميثاق لأنه يعني معالجة المشكلات والهموم

(*) أ.د/جعفر عبد السلام (رحمه الله تعالى) أستاذ القانون الدولي بجامعة الأزهر ، والأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية سابقًا .

التي تحيط بالمجتمع الدولي حتى لا يتهدد السلم؛ أي أن معنى الأمن لا يعني غياب العنف فحسب، وإنما يعني تهيئة الظروف والأوضاع لمنع الأسباب التي تؤدي إلى جعل بنيان المجتمع هشًّا تقوضه أقل الهزات.

ولا شك أن للمؤسسات والمنظمات التي تتواجد داخل الدول دورها المهم في تحقيق السلم والأمن، ابتداءً من الأسرة والمدرسة والجامعة والنادي والجمعيات؛ حيث تجمع الأفراد في داخلها وتشجعهم على تأدية أعمال تؤثر في بنيان الفرد وتجعله صالحًا، ومن ثم يصبح لبنةَ خير يُشيع السلامة والأمن في سائر أنحاء المجتمع.

ودور العبادة لها دور كبير بالتعاون مع مؤسسات الدولة في إقامة صرح وبنيان المجتمع على تقوى الله، ويعد المسجد من الركائز القوية بالتعاون مع سائر المؤسسات الاجتماعية لتحقيق البناء الأخلاقي القويم للمجتمع، ومن ثم يكون بنيانه قويًّا وصالحًا ينشر الأمن والسلامة بين الناس في المجتمع.

وظيفة المسجد في القرآن الكريم:

لقد نبه الإسلام مبكرًا إلى أهمية الأمن المجتمعي، ومَنَّ على قريش بهذه النعمة، يقول تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ① إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ② فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ③ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾[1]، والسورة تنبه إلى أهمية الأمن من ناحية وإلى دور التجارة

(١) سورة قريش كاملة.

والاقتصاد بشكل عام في تحقيق الأمن من ناحية أخرى؛ حيث كانت رحلتا الشتاء والصيف هما أداة تحقيق الأمن الاقتصادي لقبيلة قريش، وتشير آيات أخرى في القرآن الكريم إلى تحقيق الأمن بهذا المعنى من خلال رسالة المسجد وأهمية إيجاده في الأرض لعبادة الله تعالى، يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾[1]، فهنا ذكر اللهُ تعالى مرة أخرى الحديث عن قريش بالإشارة إلى معنيين:

الأول: هو أنه جعل لهم حرمًا، وهو المسجد الحرام، يتحقق فيه الأمن بمعنى الحماية من كل أنواع المكاره والمخاطر.

الثاني: أن هذا الأمن الذي تحقق لهم بوجودهم حول المسجد الحرام لا يتحقق بغيره ؛ إذ غيرهم يعاني من الخوف وانعدام الأمن.

وفي معنى أشمل يشير القرآن الكريم إلى أهمية المسجد في تحقيق الأمن بمختلف أنواعه : الشخصي ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، يقول تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

---

(١) العنكبوت: ٦٧.

(٢) القصص: ٥٧.

لقد قرر القرآن الكريم الوظائف الرئيسة للمسجد في العديد من الآيات، ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ (1)، وقوله تعالى : ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾(2)، فالمسجد شرع لعبادة الله وحده ، وهو رمز لوحدة المسلمين حيث يتوجه المسلمون فيه إلى قبلة واحدة ، ويعبدون فيه إلهًا واحدًا ، ويتعلمون فيه شعائر الإسلام.

ولقد أمر النبي ﷺ أصحابه أن يصلوا معه فيه، وبلغ من عنايته وحرصه على أهميته أنه ﷺ سارع عندما هاجر إلى المدينة ببناء المسجد، وكان يجتمع مع أصحابه فيه لتدبير أمور الدولة، ولاتخاذ قرارات السلم والحرب، ولتعليمهم أسس الحياة الصالحة والعبادة النقية التي توصلهم إلى الفلاح في الدنيا والسعادة في الآخرة.

إن المسجد النبوي هو المكان الذي تعلم فيه المسلمون فن الحياة والإخلاص معًا، وبذل الجهد والوقت، والعمل لمرضاة الله تعالى؛ لذا حث الرسول ﷺ في حديث شهير له على شد الرحال لمسجده ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ : «لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ:

---

(1) المائدة: ٩٧.

(2) التوبة: ١٠٨.

المَسْجِدِ الحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى»[1]، وقد وصفه الله تعالى بأنه مسجد أقيم على التقوى من أول يوم ، ومارس الرسول ﷺ من خلاله عملية بناء الأمة على البر والتقوى وطاعة الله والتمرس على عبادته فيه .

وهكذا كانت تتحدد وظيفة المسجد في كافة الشرائع، وليست في الشريعة الإسلامية وحدها، بعبادة الله بما تعنيه من الاعتكاف والتفرغ بما يضفيه ذلك على العباد من سكينة ووقار وتضرع وخشوع ولين الجانب ومن ثم الرحمة.

واجبات المسلمين في احترام دور العبادة:

فرض القرآن الكريم على المسلمين أن يحترموا المساجد ودور العبادة بشكل عام في أي مكان، وأن يحيطوها بكل الأسس التي تجعلها تحقق السعادة والاستقرار والأمن، يقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [2]، ويؤكد ذلك الرسول ﷺ وخلفاؤه من بعده، ووصاياهم للجيوش التي تدافع عن الدولة

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، بَابُ فَضْلِ الصَّلاَةِ فِي مَسْجِدِ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ ، حديث رقم ١١٨٩، وصحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، حديث رقم: ١٣٩٧ . واللفظ للبخاري .

(٢) الحج: ٤٠ .

وتصد المعتدين تدل على ذلك ؛ ولذلك استخلص الفقهاء ورجال القانون الدولي الإنساني قديمًا وحديثًا قاعدة حرمة دور العبادة وعدم جواز الاقتراب منها، ومنعوا أن ينالها أي أذى .

كما أن نظافة المسجد ونظافة من يدخله أمر واجب، يقول تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾(١)، وقد أمر الله تعالى بتقديس بيوته ومنع العبث بها أو استغلالها في غير ما أمر الله به، ونعى سبحانه وتعالى بشدة على أصحاب مسجد الضرار ، وأمر رسوله ﷺ بالبعد عنه ، يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٢).

(١) الأعراف: ٣١.

(٢) التوبة: ١٠٧ - ١١٠.

المسجد هو حصن الأمن المجتمعي:

مقصود الله تعالى أن يكون المسجد حصنًا للأمن المجتمعي أسوة بقبلة مساجد الأرض ، وهو المسجد الحرام ، الذي يقول الله تعالى عنه: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾[1]، كما يقول تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[2]، والأمن هنا يعني منع العنف والظلم والإلحاد فيه، يقول تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3].

ومن المعلوم أن القانون الدولي الإنساني قد تبنى هذه القاعدة حديثًا، فحرم العدوان على المقدسات وخاصة دور العبادة، فهي حصن الأمن للمجتمعات ، وحرم إلى جوارها الأماكن الثقافية ، مثل: المتاحف ، وأماكن الآثار ، وكذلك حرم العدوان على المستشفيات والطائرات المخصصة للأغراض الطبية .

ومما هو معلوم أن المسجد يمارس دورًا مهمًّا في حياة الأمة ؛ حيث يُربَّى المسلم فيه على طاعة الله وتقواه ، والبذل والعطاء في سبيل بناء مجتمعه وتنمية دولته ، وهو دور يكمل دور الأسرة ويتكامل معه ومع غيره من أدوار لمؤسسات الدولة في التنشئة الصالحة للإنسان وتكوين شخصيته على

---

(١) آل عمران : ٩٧.

(٢) البقرة : ١٢٥.

(٣) الحج : ٢٥.

أفضل الأساليب ، وهو ما يكون عمادًا للأمن المجتمعي في كل زمان ومكان.

وتعد خطبة الجمعة أساسًا فاعلًا لذلك ؛ حيث تستهدف تثقيف المسلمين في شئونهم الدينية والدنيوية؛ لذلك أحاطها الفقهاء بكثير من الأحكام التي تضمن تفعيلها وجعلها مصدر خطاب صحيح للمسلمين في شئون حياتهم، وتعلمهم أمور الدين والعقيدة وسيرة الرسول ﷺ في المعاملات وغيرها.

وختامًا.. فللمسجد دور مهم في تحقيق الأمن المجتمعي؛ لأن المجتمع يتكون من مجموعة من الأفراد، وبقدر صلاحهم يكون صلاحه، وبقدر تقدمهم وحرصهم على سلامة دينهم وأطفالهم يكون المجتمع سالمًا، وهذا هو دور المسجد ودور العبادة في تحقيق السلامة والأمن للمجتمع.

* * *

الزكاة ودورها في تحقيق الأمن المجتمعي(*)

إن أمن المجتمع الإنساني كله هو الهدف الأساسي والغاية القصوى لرسالة الإسلام وتشريعاته العملية التطبيقية المتعلقة بهذا الإنسان في أيّ زمان وفي أيّ مكان، باعتباره عبد الله وخليفته في أرضه ، مهما اختلف جنسه أو نوعه أو لسانه أو لونه.

وكل تشريعات الإسلام نزلت في أصولها وحيًا من السماء لحفظ الكليات الضرورية لحياة الإنسانية والبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن هذه الكليات المال، فالمال هو كل منافع الحياة التي خلقها الله لهذا الإنسان لتحقق له كيانه الشخصي والمادي ودوام حياته إلى ما شاء الله، من كل ما أحله الله، وكل ما يتموله الإنسان من الحياة في طعامه وشرابه ودوائه وسكنه وملبسه وكل منافعه المادية والمعنوية؛ فهو المال الذي لا غنى للإنسان عنه بحال لتحقيق وجوده، والمحافظة على حياته لتمكنه من عمارة الأرض، واستخلافه لمنافع الكون لنفسه ولكل بني جنسه في هذه الحياة، وبذلك كان المال والإنسان وجهان لعملة واحدة، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، كالروح مع الجسد للإنسان، والدين الإسلامي الذي هو ضرورة من الضرورات الكلية للحياة هو في نفس الوقت منهج هذه الحياة الذي ينظم للإنسان طريق السعي في الأرض

(*) أ. د/نصر فريد محمد واصل ، عضو هيئة كبار العلماء ، ومفتي الجمهورية الأسبق .

والعيش فيها بسلام مع نفسه ومع بني جنسه ؛ لتحقيق الأمن المجتمعي لهما جميعًا، ونظرًا لأن المال للإنسان ضرورة من ضرورات وجوده وحياته ؛ فقد جعله الإسلام ركنًا من أركانه الخمس ، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج لمن استطاع إليه سبيلًا.

بذلك لم يفرق الإسلام بين تنمية المال وتنمية الإنسان ؛ حيث إنه لا غنى لأحدهما عن الآخر، فلا وجود للإنسان بدون المال ، ولا وجود للمال بدون الإنسان، وبهما معًا تتحقق التنمية البشرية والإنسانية والمالية على أكمل وجه، ويتحقق معها التكافل الإنساني والسلام المجتمعي لكل المجتمعات البشرية.

ومن المعلوم أن إطلاق كلمة الزكاة تعبير صادق عن المضمون فالزكاة في اللغة: النماء والطهر، يقال: زكّى الرجل نفسه أيّ طهرها من الآثام ومدحها، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1]، ويقال: زكا الزرع: أيّ نما وكبر، وغلام زكا: أيّ كبر سنه ونما، وفلان زكى ماله: أي طهره وأخرج زكاته، وفلان تزكى: أي تصدق وتطهر من الشح والبخل بصدقته هذه من ماله، سواء كانت واجبة أو غير واجبة[2]، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ

(١) الشمس: ٩، ١٠.

(٢) مختار الصحاح: مادة (زكو).

﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

أما الزكاة في اصطلاح الفقهاء فهي: إخراج قدر مخصوص من مال مخصوص يصرف لطائفة مخصوصة على جهة الوجوب بشرائط مخصوصة[2]، وحكمها التكليفي في حق المسلمين أنها ركن من أركان الإسلام الخمسة، وأنها واجبة في عين المال الذي تجب فيه الزكاة إذا بلغ النصاب بشروطه المخصوصة، وذلك في حق المكلفين بخطاب الشارع الحكيم، وقد قال الرسول ﷺ: « بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ »[3].

وقد وجبت الزكاة لثمانية أصناف من طبقات الناس الواردة في الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠﴾[4]، وهي الجهات الثمانية التي هي مصارف أموال الزكاة الشرعية، فرضها الله تعالى في مال الأغنياء إذا بلغ

---

(١) التوبة: ١٠٣.

(٢) الزكاة وأحكامها في الفقه الإسلامي للدكتور/نصر فريد واصل: ص ٢٠، والعبادات في الفقه الإسلامي للدكتور / نصر فريد واصل: ص ٢٩١، ط الرابعة.

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ»، حديث رقم: ٨، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، حديث رقم: ١٩. واللفظ للبخاري.

(٤) التوبة: ٦٠.

النصاب، والتعبير بالصدقات في الآية عن أموال الزكاة الواجبة في مال الأغنياء للدلالة على صدق الإنسان مع ربه ونفسه في إخراجها طيبة نفسه بها، وقاصدًا إياها لإرضاء ربه، وصادقًا في بيانها وقدرها عند أدائها وطلبها لأصحابها.

والملاحظ أن مصارف الزكاة الشرعية في الإسلام شملت الجهات الثمانية التي معها تتحقق التنمية البشرية والتنمية المالية في نفس الوقت، وبذلك تكتمل دورة الحياة البشرية والمالية والاقتصادية والصناعية والزراعية والتجارية والاستثمارية، والتكافل الاجتماعي والأمني بين الفقراء والأغنياء على حد سواء في المجتمع، وذلك لأن الزكاة تعمل من خلال مصارفها الثمانية على إعادة توزيع الدخل بين الأغنياء مالكي المال الذي تجب فيه الزكاة وبين المستحقين لها، وبذلك تعمل الزكاة على تقريب الفوارق الاجتماعية والمالية والاقتصادية بين كل طبقات المجتمع.

ويبدو واضحًا من خلال آية مصارف الزكاة؛ أن الزكاة هدفها الأول هو معالجة كل قصور في الجانب الاجتماعي، كمساعدة ذوي الحاجات، والأخذ بأيدي الضعفاء، وتشغيل العاطلين ، وهذه المساعدات وتلك المعونات يتولى القيام بها من بيدهم ناصية الأمور في ذلك بطريق مشروع، وتؤدى للمستحقين كل عام بصورة دورية، وهدفها تحقيق الكفاية لكل محتاج إلى المال في المطعم والملبس والمسكن وسائر الحاجات لنفس الشخص ولمن يعوله، في غير إسراف ولا تقتير، مع ملاحظة أنه يجب الأخذ في الاعتبار أن مصارف الزكاة الغرض منها تحويل الفقير إلى غني بما حصل عليه من مال يغنيه عن الزكاة بعد ذلك،

إما باستثماره بنفسه أو بتحويله إلى آلة يكتسب منها، وهذا ما أجازه الفقهاء، أو ما يسد حاجته الطارئة والمفاجئة التي حولته من غني إلى فقير، كما هو الشأن مع الغارمين والمدينين وذوي الحاجات الطارئة، وكذلك أجاز الفقهاء إعطاء الفقير من أموال الزكاة ما يغنيه عن السؤال طوال حياته بالوسيلة المناسبة له.

والخلاصة: أن ما قرره الإسلام في تشريع الزكاة من شأنه أن يجعل للزكاة دورًا في حفظ توازن المجتمع وإعادة توزيع الدخل بين أفراده، وأن يكون ذلك التوازن خطوة رائدة لتقريب الفوارق بين الطبقات وتحقيق الأمن المجتمعي، وفي هذا المعنى يقول الشيخ شلتوت رحمه الله: إن الزكاة في نظر الإسلام ليست إلا صرف بعض أموال الأمة ممثلة في أغنيائها إلى الأمة نفسها ممثلة في فقرائها، وبعبارة أخرى ليست إلا نقل الأمة بعض مالها من إحدى يديها وهي اليد التي استخلفها الله على حفظه وتنميته والتصرف فيه وهي يد الأغنياء، إلى اليد الأخرى وهي اليد العاملة الكادحة التي لا يفي عملها بحاجتها، أو التي عجزت عن العمل، وجعل رزقها فيه ومنه، وهي يد الفقراء[1].

وبهذا التشريع المحكم يتحقق التوازن الاجتماعي بين الأغنياء والفقراء على نحوٍ عادلٍ يحقق الأمن ويقود سفينة المجتمع إلى مرفأ الأمن المجتمعي .

* * *

(١) الزكاة وأحكامها في الشريعة الإسلامية: ص ٨١.

الوقف ودوره في تحقيق الأمن المجتمعي(*)

حثَّ الله تعالى عباده على أعمال البر والخير، فقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ (١)، ولا شك أن الوقف يُعدُّ من الصدقات الجارية التي يجري ثوابها، ويتجدد لصاحبها كلما انتفع الفقير والمحتاج منها، كما قال رسول الله ﷺ: « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »(٢)، وقد تسارع المسلمون من لدن الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم) إلى يومنا هذا إلى هذه السنة المحمودة، فأضحى الوقف مؤسسة اجتماعية قامت بدورها لتكفل ذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وفي سبيل الله، وابن السبيل، فكانت بذلك سببًا في إنشاء المساجد والمدارس والرباطات، وغيرها من مقاصد البر والإحسان.

ومن المعلوم أن مجال التكافل الاجتماعي في الإسلام واسع، وحالاته متعددة؛ إذ تكون البداية بالمرء نفسه، وذلك بأن يهذبها ويزكيها، ويدفعها إلى ما أمره الله تعالى به، وينهاها عما نهاه الله عنه، ثم ينتقل إلى أسرته، وذلك بأن

(*) أ. د/فريد بن يعقوب المفتاح، وكيل الوزارة للشئون الإسلامية، مملكة البحرين.

(١) المزمل: ٢٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الوصية، بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، حديث رقم: ١٦٣١.

يقوم كلا الزوجين بتحمل المسئولية المشتركة في القيام بواجبات الأسرة ومتطلباتها، كلٌّ بحسب وظيفته الفطرية التي فطره الله عليها، ثم تتسع بعد ذلك لتشمل محيطه الاجتماعي، فكل إنسان في المجتمع الإسلامي مأمور بأن يكون له دور إيجابي في المجتمع، وذلك بأن يكون وجوده فعالًا ومؤثرًا في المجتمع الذي يعيش فيه، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ﴾[1].

وقد بيَّـن الرسول ﷺ حال أفراد المجتمع في تماسكهم وتكافلهم بصورة تمثيلية رائعة ؛ حيث قال: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى »[2]، ثم يكون مجال التكافل بين جميع البشر، مؤمنهم وكافرهم، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3]، فهذه الآية الكريمة تعلن مبادئ تكافل دولي، بموجبه تنتظم كافة المجتمعات الإنسانية في رباط عالمي، هدفه النهائي والحقيقي إقامة مصالح العالمين، ودفع المفاسد عنهم، وتبادل المنافع فيما بينهم، مادية ومعنوية، علمية وثقافية واقتصادية، مع الحفاظ على خصوصيات كل مجتمع

---

(١) المائدة : ٢.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث رقم: ٢٥٨٦.

(٣) الحجرات : ١٣.

وكيانه ، دون تهديد لتلك الخصوصيات بما يهدمها أو يلغيها.

ولإرساء هذه القيم سعى الإسلام إلى إيجاد موارد متعددة تكفل رقي الأفراد في المجتمع الإسلامي، وتكون سببًا في تحقيق وإرساء الأمن في المجتمع الإسلامي.

ويعد الوقف من أهم مظاهر التكافل الاجتماعي وأحد أهم الروافد المالية للأمن المجتمعي ، وقد شرع الإسلام الوقف وجعله من أفضل الأعمال، وقد شكَّل الوقف على مرّ التاريخ الإسلامي مرفقًا حيويًّا للمجتمع ، يقوم حتى اليوم بالوظائف العامة والأمن والرعاية الاجتماعية للفئات المحتاجة.

تعريف الوقف ، وبيان أقسامه ، وأركانه :

١. تعريف الوقف :

للوقف في اللغة معان كثيرة، منها السكون، ومنها المنع والتعليق، ومنها التأخير والتأجيل، ومنها الحبس[١].

أما في اصطلاح الفقهاء، فقد ذكر الفقهاء تعريفات مختلفة للوقف تبعًا لآرائهم في مسائله الجزئية ، إلا أن أشمل تعريف له هو: تحبيس الأصل، وتسبيل الثمرة أو المنفعة[٢]، وهذا التعريف يؤيده الحديث الوارد عن أمير

---

(١) تاج العروس: مادة (وقف).

(٢) المغني لابن قدامة: ٨/ ١٨٤.

المؤمنين عمر (رضي الله عنه)، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما)، قَالَ: أَصَابَ عُمَرُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ هُوَ أَنْفَسُ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُنِي بِهِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا»(١).

٢. أقسام الوقف:

يقسم الفقهاء الوقف إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الوقف الخيري؛ وهو الذي يقصد به الواقف التصدق على وجوه البر، سواء أكان على أشخاص معينين كالفقراء والمساكين والعجزة، أم كان على جهة من جهات البر العامة كالمساجد والمستشفيات والمدارس وغيرها، مما ينعكس نفعه على المجتمع، أي أنه وقف يصرف فيه الريع من ناظر الوقف إلى أشخاص معينين من غير ذرية الواقف، أي لجهة خيرية.

الثاني: الوقف الأهلي أو الذري؛ وهو ما يجعل استحقاق الريع فيه أولًا إلى الواقف مثلًا، ثم أولاده أو أقاربه، ثم لجهة بر لا تنقطع، حسب إرادة الواقف.

الثالث: الوقف المشترك الخيري والأهلي؛ ويقصدون به الوقف الذي تم ابتداء على الذرية، وعلى جهة من جهات البر في وقت واحد، بمعنى أن الواقف قد جمعهما في وقفه، فجعل لذريته نصيبًا من العين الموقوفة، وللبر

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف ، حديث رقم: ٢٧٣٧، وصحيح مسلم ، كتاب الوصية ، باب الوقف ، حديث رقم : ١٦٣٢، والفظ لمسلم.

نصيبًا محددًا أو مطلقًا في الباقي، أو بالعكس، وهذا بلا شك أمر سائغ طالما أن الواقف قد خصص منافع العين الموقوفة على ذريته وعلى جهة البر معًا، فهو يحقق الخير والبر ولا يتنافى ذلك مع مشروعية الوقف.

٣. أركان الوقف وشروطه:

للوقف أربعة أركان: الواقف، والموقوف عليه، والموقوف، والصيغة، وإليك بيانها بإيجاز:

أ- الواقف:

وهو الحابس للعين، ويشترط فيه أن يكون أهلا للتبرع، بأن يكون عاقلًا بالغًا غير محجور عليه، مختارًا غير مكره.

ب- الموقوف عليه:

وهي الجهة المنتفعة من العين المحبوسة، ويشترط فيها أن تكون جهة بر وخير ونفع، وأن تكون الجهة مما يصح أن تُمَلَّك.

ج- الموقوف:

وهي العين المحبوسة، ويشترط فيها أن تكون مالًا متقومًا، معلومًا محددًا، ملكًا للواقف ملكًا تامًّا، ويشترط دوام الانتفاع به ، وألا يكون من المستهلكات كالطعام والشراب ، ويصح وقف المال المنقول والمشاع والعقار، ولا يصح وقف المنفعة وحدها دون الرقبة ، ولا يصح وقف ما لا فائدة فيه أو ما لا منفعة منه.

د- الصيغة:

وهي تكون بأي لفظ يدل دلالة واضحة على معنى الوقف نحو: أوقفتُ، سَبَّلتُ، حبَستُ، وذهب جمهور الفقهاء إلى أن الوقف كما ينعقد باللفظ ينعقد بالفعل، كأن يبني مسجدًا ويأذن للناس في الصلاة فيه، أو مقبرة ويأذن في الدفن فيها، فيصير المسجد والمقبرة وقفًا بالقرينة الدالة على إرادة الوقف، ومن المعلوم أن التصرفات الواردة على الأعيان يجب أن توثق في مكتوب أو سند ، حتى لا يطمع فيها أحد من المستحقين أو غيرهم ، فيضيع الهدف من الخير الذي قصده الواقف ، ويتعطل مقصد الشرع من تشريع الوقف ، فكان من اللازم إفراغ الوقف في حجة توثقه وتحفظ حقوقه وتمنع الطمع فيه ، وذلك ما يجري العمل به الآن .

مقاصد الوقف:

إن مقاصد وأهداف الوقف كثيرة متنوعة، ونفعه يعم الدنيا والآخرة، ومن أهمها[1]:

١. يسهم الوقف في تغطية حاجات شرائح واسعة من المجتمع، بالإضافة إلى مساهمة أنواع البر الأخرى كالزكاة والصدقات ونحوها، مما يشكل في مجمله مظلة التأمينات الاجتماعية للأمة، ويعمل على رفع مستوى

(١) انظر بحث: الأوقاف ودورها في التنمية ، د. سعيد الجارحي ، ضمن أبحاث ندوة: الوقف الخيري ، أبو ظبي: ص ١١٩، وبحث : أثر الاجتهاد في تطور أحكام الوقف ، أ. د/ محمود أحمد أبو ليل ، ضمن أبحاث ندوة : الوقف الإسلامي بجامعة الإمارات العربية المتحدة : ص٦ .

الفقراء، ويحول دون تركز الثروة لدى قلة من الناس، كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلله وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾[1].

٢. يحافظ الوقف على المال ويحميه من الإسراف، فيبقى المال، وتستمر الاستفادة من ريعه، ومن جريان أجره له، ومن تأمين مستقبل ذريته بإيجاد مورد ثابت يضمنه، ويكون واقيًا لهم من الحاجة والفقر.

٣. يسهم الوقف كذلك في مختلف عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية وغيرها مما يخفف العبء عن الحكومات، وبخاصة تلك التي تعاني من العجز في ميزانيتها، كما يسد الكثير من الفراغ الذي تتركه بعض الدول لسبب أو لآخر في مجال الرعاية والخدمات وغيرها.

٤. يدعم الوقف روح العمل المؤسسي والاجتماعي من خلال الجمعيات التي تشرف عليه بما يجسد أواصر الوحدة.

٥. يؤكد على ضرورة امتثال أمر الله تعالى بالإنفاق والتصدق في وجوه البر، ولا شك أن بالبر تدوم صلة الناس وتنقطع البغضاء ويتحابون فيما بينهم، وبهذا الامتثال يكون الوقف سببًا لحصول الأجر والثواب من الله تعالى ومحو السيئات.

---

(١) الحشر: ٧.

٦. يساعد على تنويع العمل التطوعي لكفالة الأيتام ، وعون الفقراء والمساكين، وهو ما يسمى اليوم بالتكافل والرعاية الاجتماعية .

٧. يسهم الوقف في تخفيف البطالة بما يقدمه من فرص العمل في المشاريع الوقفية المختلفة .

٨. يساعد على الادخار الإيجابي، وتوجيهه نحو الخير والإنتاج؛ حيث إن ذلك من لوازم الوقف ووسائله.

٩. يضمن الوقف بقاء المرافق العامة وصيانتها ، كالمساجد ، والمعاهد ، والمدارس ، والمشافي ، ودور العجزة ، وملاجئ الأيتام وغيرها.

١٠. يسهم الوقف في تلبية حاجات كثير من المسلمين بإقامة مراكز الدعوة إلى الله تعالى ، وكفالة الدعاة ، ودعم المشاريع الدعوية المتعددة ، وإيجاد مؤسسات ثقافية وإعلامية ؛ للعمل على نشر الفكر الإسلامي الصحيح.

من ثمار الوقف تحقيق الأمن المجتمعي:

للوقف دور كبير في سد حاجات المجتمع الإسلامي ، هذا إلى جانب ترتيب الأجر والثواب المستمر للعباد في حياتهم وبعد مماتهم، من خلال الإنفاق والتصدق والبذل في وجوه البر، وبذلك يتحرر المسلم من ضيق الفردية والأنانية، ويكون المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى، كما يتميز الوقف بعدم محدوديته واتساع آفاق مجالاته، والقدرة على تطوير أساليب التعامل معه، وكل هذا

كان من ثماره تحقيق التراحم والتواد بين أفراد المجتمع المسلم على مرّ العصور بمختلف المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها الأمة الإسلامية خلال أربعة عشر قرنًا مضت.

لقد أسهم الوقف في التنمية الاجتماعية في الحواضر والمدن الإسلامية، وكان للأوقاف الإسلامية دور عظيم في إمداد الجانب الإنساني والاجتماعي لخدمة الفرد والجماعة والأمة، وإيجاد عنصر التوازن بين الأغنياء والفقراء، وضمان بقاء المال وحمايته ودوام الانتفاع به، وتوفير سبل التنمية علميًّا وعمليًّا بمفهوم تكاملي شامل، وبذلك يتحقق الأمن في المجتمع، ويتجلى في عدة صور، منها[1]:

١. أن الوقف هو خير طريق لسد الثغرات الحاجية لفئات عديدة من أفراد المجتمع؛ إذ يسهم في رعاية الفقراء من الأهل والأقارب خاصة، وفقراء المسلمين عامة، ويضمن مساعدة المرضى ، ويدعم المعوزين.
٢. الوقف يقوم بدور كبير في مجال الضمان الاجتماعي لسائر الطبقات المحرومة من أسباب الحياة ، من المدينين والمأسورين والأرامل والمطلقات والمرضى وذوي الاحتياجات الخاصة.
٣. الوقف يعمل كذلك على دفع وتنمية المسيرة الاقتصادية للمجتمع، وبذلك يتحقق الترابط والتعاطف والتعاون ، ويؤدي إلى إنجاح مسيرة

---

(١) انظر بحث: الأوقاف ودورها في التنمية ، د. سعيد الجارحي ، ص ١١٩، وبحث : أثر الاجتهاد في تطور أحكام الوقف ، أ. د/ محمود أحمد أبو ليل: ص٦.

الأمة في كافة مناحي الحياة، بلا معوقات تأكل في بنيان الأمة بسبب الحقد أو البغضاء التي تتولد في نفوس بعض المحرومين الذين لم يجدوا من يسد حاجتهم بغير مَنٍّ ولا أذى.

٤. الوقف يساعد الكثير من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل وغيرهم على بناء المجتمع الذي لم يضن عليهم بالرعاية والعناية، وإنما يقدم لهم عوائد الأوقاف الموقوفة عليهم؛ لتحقيق الحياة الكريمة لهم بلا أدنى تمييز، وذلك من باب التعاون على البر والتقوى.

٥. الوقف الأهلي، أو المشترك بينه وبين الوقف الخيري، يؤدي إلى الاهتمام بحاجات الفرد والأسرة؛ لأنهما اللبنة الأولى في بناء المجتمع السوي، وفق المنهج الذي سنَّه الإسلام في وقف الأموال على جهات البر والخير.

٦. يقوم الوقف بدور رئيس في مجال الرعاية الصحية، ومساعدة المرضى من الفقراء والمحتاجين، فكثيرًا ما وقف الأغنياء أموالهم وأملاكهم على ما كان يسمى قديمًا بالبيمارستان، وهو المستشفى الذي يقوم بمهمة علاج المرضى، وإطعامهم، ومتابعتهم حتى الشفاء، وفي حالة الموت كان البيمارستان يتحمل مصاريف ونفقات التجهيز والدفن.

٧. الوقف يساعد الفقراء الراغبين في النكاح، وذلك بتقديم المهور اللازمة، والمساهمة في تزويجهم.

٨. الوقف له دور كبير في ميدان نشر الثقافة والعلم، وكانت المساجد ودور العلم التي أنشأتها أوقاف الأغنياء تمثل مراكز العلم والإشعاع الثقافي،

وبهذا نستطيع أن نقول: إن الحركة العلمية الواسعة التي شهدها العالم الإسلامي في مشرقه ومغربه إنما تدين بالشيء الكثير لازدهار الأوقاف وانتشارها، وبذلك واصل الفقراء مسيرة العلم مثل الأغنياء.

٩. الوقف له دور كبير في رعاية أسر المسجونين، وتوفير الحياة الكريمة التي تعصمهم من الانحراف، وتحول بينهم وبين السلوك الإجرامي.

وختامًا... لقد كان للوقف في تاريخنا الإسلامي مكانة كبيرة في مجال التنمية، واستغلت أموال الأوقاف في مساعدة المحتاجين، وبذلك أسهم في نشر الفضيلة، ومحو الرذيلة، وحفظ المجتمع من الانحرافات السلوكية والفكرية، وأوجد جوًّا من التسامح لدى كافة طوائف المجتمع ضمن روابط من التكافل والتضامن الاجتماعي والاقتصادي، كما خفف الضغط النفسي على قلوب المحتاجين ، كالفقراء والمرضى وغيرهم ، فنزع فتيل الحقد من قلوبهم ، وساعد إلى حدٍ كبير في دعم الأمن المجتمعي .

*   *   *

مشروعية الوقف ومجالاته
في تحقيق الأمن المجتمعي(*)

الوقف لغة: الحبس، واصطلاحًا: حبس العين والتصدق بالمنفعة في سبيل الله، أي: بنية الثواب. ومن ألفاظه: وقفتُ، حبست، سبلتُ(١)، وقيل: تحبيس الأصل فلا يورث ولا يباع ولا يوهب، وتسبيل ثمره لمن وقف عليهم. وبمعنى آخر: يتخلى المالك عن ملكه، وتصبح ملكية الموقوف لله تعالى، ويستعمل ريعه في وجوه البر والإحسان تقربًا إلى الله تعالى.

مشروعية الوقف: لقد ثبتت مشروعية الوقف من خلال ما يلي:

أولا: **الأحاديث النبوية الشريفة**، **ومن ذلك**:

روى عمرو بن الحارث بن المصطلق (رضي الله عنه) قال: «مَا تَرَكَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا وَلاَ دِينَارًا وَلاَ عَبْدًا وَلاَ أَمَةً وَلاَ شَيْئًا، إِلَّا بَغْلَتَهُ البَيْضَاءَ، وَسِلاَحَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً»(٢). فلفظة صدقة تعنى هنا الوقف على التخصيص ؛ لأن الرسول ﷺ لا يرثه أحد ، وبالتالي فإن التصدق بما تركه يأخذ صفة الديمومة والجريان ، أي ما تركه يحبس لصالح المسلمين عامة.

(*) أ.د/عكرمة صبري ، خطيب المسجد الأقصى المبارك ، فلسطين .

(١) سبَّلَ يُسبِّل ، تسبيلاً ، فهو مُسبِّل ، والمفعول مُسبَّل ، وسبَّل الشَّيءَ : أباحَه وجعله في سبيل الله (معجم اللغة العربية المعاصرة ، مادة سبل).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الوصايا ، بَابُ الوَصَايَا وَقَوْلِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : «وَصِيَّةُ الرَّجُلِ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ ، حديث رقم: ٢٧٣٩ .

عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أن الرسول ﷺ جَعَلَ سَبْعَ حِيطَانٍ لَهُ بِالْمَدِينَةِ صَدَقَةً عَلَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَبَنِي هَاشِمٍ»(١). والمراد بالحيطان: البساتين أو الحدائق، وتُسمى بالحيطان لأنها تحاط بالأسوار، وتعرف هذه الحيطان بأراضي المخيريق، وتقع في ضواحي المدينة المنورة.

وعن نافع عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)، "أَنْ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا» قَالَ: فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ، أَنَّهُ لاَ يُبَاعُ وَلاَ يُوهَبُ وَلاَ يُورَثُ، وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الفُقَرَاءِ، وَفِي القُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ الله، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ لاَ جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَيُطْعِمَ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ»(٢). ويعد عمر بن الخطاب أول من وقف ماله من الصحابة الكرام بعد رسول الله ﷺ.

عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) أن سعد بن بن عبادة (رضي الله عنه) توفيت أمه وهو غائب عنها، فقال: يَا رَسُولَ الله إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ

(١) السنن الكبرى للبيهقي: كتاب الوقف، باب الصدقات المحرمات، حديث رقم: ١١٨٩٦.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب: الشُّرُوطِ فِي الوَقْفِ، حديث رقم: ٢٧٣٧، وصحيح مسلم، كتاب الوصية، باب الوقف، حديث رقم: ١٦٣٢، واللفظ للبخاري، و(غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ) أي: غَيْرُ متخذ مِنْهَا مَالًا أَيْ: مِلْكًا وَالْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يَتَمَلَّكُ شَيْئًا من رقابها. (فتح الباري لابن حجر جـ٥/ص٤٠١).

عَنْهَا، فَهَلْ يَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِيَ المِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا»[1].

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: لما نزلت: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[2] جاء أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، يقول تبارك الله في كتابه: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لله أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله، فَضَعْهَا حَيْثُ أَرَاكَ الله، فَقَالَ: «بَخْ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ أَوْ رَايِحٌ - شَكَّ ابْنُ مَسْلَمَةَ - وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ»، قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ، وَفِي بَنِي عَمِّهِ[3].

قال رسول الله ﷺ: « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »[4]، فإن الصدقة الجارية المذكورة في هذا الحديث النبوي الشريف تتحقق في الوقف على أصل معناه المقرر الثابت، وهو كونه صورة من صور الصدقات.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، بَابُ إِذَا قَالَ: أَرْضِي أَوْ بُسْتَانِي صَدَقَةٌ لله عَنْ أُمِّي فَهُوَ جَائِزٌ، وَإِنْ لَمْ يُبَيِّنْ لِمَنْ ذَلِكَ، حديث رقم: ٢٧٥٦.

(٢) آل عمران: ٩٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، بَابُ إِذَا وَقَفَ أَرْضًا وَلَمْ يُبَيِّنِ الحُدُودَ فَهُوَ جَائِزٌ، وَكَذَلِكَ الصَّدَقَةُ، حديث رقم: ٢٧٦٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، حديث رقم: ١٦٣١.

ومن العلماء من فسر الصدقة الجارية بالوقف على التخصيص، منهم: النووي والصنعاني والشوكاني؛ لأن الصدقة الجارية مما لا ينقطع أجرها ولا يمكن تصور جريان الصدقة إلا بحبسها، والحبس مندوب إليه[(١)]، وعقب الإمام النووي في شرح هذا الحديث الشريف فقال: وفيه دليل على صحة أصل الوقف وعظيم ثوابه[(٢)].

ثانياً: الإجماع ، ومن ذلك:

- قال جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما): ما بقي أحد من أصحاب رسول الله ﷺ له مقدرة إلا وقف، وفي رواية: ذو مقدرة، وذلك للدلالة على العدد الكبير من الصحابة الذين وقفوا ممتلكاتهم[(٣)].

وقال الإمام الشافعي (رحمه الله) : بلغني أن ثمانين صحابيًّا من الأنصار تصدقوا بصدقات محرمات[(٤)] ، وكان الشافعي (رحمه الله) يسمي الأوقاف بالصدقات المحرمات ، بمعنى المحافظة على العين الموقوفة وحرمة أخذها[(٥)]،

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ، جـ١١ /ص٨٥، وسبل السلام: جـ٣/ص١، ١١٥، ونيل الأوطار: جـ٦ /ص٢١، وسنن الدرامي ، حديث رقم : ٥٥٨. وقال الترمذي ، هذا حديث حسن صحيح.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ، جـ١١ /ص٨٥.

(٣) الذخيرة للقرافي ، جـ٦ /ص٣٢٣.

(٤) المجموع (التكملة الثانية) شرح المهذب لمحمد بخيت المطيعي: جـ٥ /ص٣٢٤، والمغني لابن قدامه: جـ٥ /ص٥٩٩، والشرح الكبير: جـ٦ /ص٢٠٦.

(٥) مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج : جـ٢ /ص ٣٧٦ ، والعُدة على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام : جـ٤ /ص١٣٣، وسبل السلام : جـ٣/ص١١٦.

هذا بالإضافة إلى الصحابة من المهاجرين، ولم ترد إحصائية بعددهم.

وعليه ، فإن ما تم في عهد الرسول ﷺ يعد من السنن التقريرية ، وما بعد انتقال الرسول ﷺ يعد من إجماع الصحابة (رضي الله عنهم)[١]، يقول الإمام القرطبي في هذا المجال: رادُّ الوقف مخالف للإجماع فلا يلتفت إليه[٢]، أي أن الذي يرد الوقف أو ينكره يكون مخالفًا لإجماع الأمة الإسلامية، ولا يلتفت إلى رأيه أمام هذا الإجماع، بالإضافة إلى النصوص الشرعية.

الوقف ودوره في تحقيق الأمن المجتمعي:

إن الوقف نوع من أنواع الصدقات والقربات التي يقصد بها التقرب إلى الله تعالى، فالوقف من القرب المشروعة التي حث الشارع الحكيم عليها وندب إليها، والوقف طريق من طرق تنامي البر والخير والإحسان، وإجزال المثوبة للمتصدق إذا قرن عمله بنية خالصة ورغبة صادقة، وقد جاءت السنة العملية

---

(١) انظر: السنن الكبرى للبيهقي: جـ٦ /ص١٦١، والمبسوط: جـ١٢ /ص٢٨، والبناية: جـ٦ /ص١٤٤، والإسعاف : ص ٤ ، والاختيار لتعليل المختار : جـ٣/ص٤٠، ونصب الراية : جـ٣ /ص٤٧٧. والشرح الصغير وبهامش حاشية الصاوي : جـ٤ /ص٩٧. والأم : ص٧٤٠، والمجموع (التكملة الثانية) شرح المهذب لمحمد بخيت المطيعي : جـ ٥ /ص٣٢٤ ، وكتاب المجتمع الفلسطيني ، أ.د/ عكرمة صبري : ص ٣٤.

(٢) تفسير القرطبي: جـ٤ /ص١٣٢، ونيل الأوطار: جـ٦ /ص٢٣، وأحكام الوقف في الشريعة الإسلامية للكبيسي: جـ١ /ص٤٥، والعُدة على شرح عمدة الأحكام للصنعاني: جـ٤ /ص١٣٣. وكتاب الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، أ.د / عكرمة صبري : ص ٥٣.

وتطبيقات الصحابة - رضوان الله عليهم - لتؤكد شرعية الوقف.

وللوقف وظائف مهمة تدعو إلى التكافل الاجتماعي في المجتمع، ويتمثل ذلك في عدة مجالات، منها:

١ -المجال الديني:

ومن ذلك إقامة المساجد ، فالمساجد بيوت الله ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لله فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[1]، وقد أعطى الإسلام عناية بها وحث على إقامتها، وأول عمل قام به رسول الله ﷺ حين هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة أن أقام مسجد قباء، ثم أقيم المسجد النبوي الشريف، وبدأ المسلمون منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا يشيدون المساجد والمرافق التابعة لها كدور القرآن الكريم والحديث الشريف، ويوقفون عليها الوقوفات، فأحيانًا تشمل الوقفية: أراضي وعقارات بحيث يكون ريعها للمسجد، بالإضافة إلى وقفية الأرض التي يقام عليها، والمعلوم أن المساجد لها دور إيجابي فعَّال في إصلاح الناس وإشاعة الأمن والاستقرار في المجتمع.

٢ - المجال التعليمي:

ومن ذلك إقامة المدارس وإنشاء المكتبات، فلا شك أن ديننا الإسلامي

---

(١) الجن: ١٨.

العظيم قد أعطى عناية فائقة للتعليم ، وكانت أول الآيات الكريمة نزولاً على قلب سيدنا محمد ﷺ تأمر بالقراءة والكتابة والبحث فيقول تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1] لذا كان لا بد من وجود مكان مخصص لتعليم الناس القراءة والكتابة، ورأى سلفنا الصالح أن المدارس هي خير وسيلة للتعلم والتعليم فشجعوا على وقف أراضٍ وعقارات لتحقيق هذه الرسالة النبيلة السامية، وهي رسالة التعليم.

وهناك آلاف الوقفيات التي وقفها حكام وأمراء وعلماء ومحسنون عبر التاريخ في هذا المجال، كما تم إنشاء مئات من المكتبات الموقوفة على اعتبار أنه يجوز شرعًا وقف الأموال المنقولة ، وعلى ضوء ذلك انتشرت المكتبات الموقوفة في أرجاء العالم الإسلامي ، ورغم عدم وجود الطباعة سابقًا فإن العلماء كانوا يتداولون الكتب من قطر إلى آخر ، من بخارى شرقًا إلى القيروان غربًا ، وهناك مئات الوقوفات للمكتبات للدلالة على حرص أجدادنا وسلفنا الصالح على حماية تراثنا والمحافظة عليه والاستفادة منه ، ولينتقل من جيل إلى جيل لتثقيفه وتعليمه وتوعيته وتربيته.

---

(١) العلق: ١-٥.

٣-المجال المائي:

ومن ذلك حفر الآبار وتشييد السبل وإنشاء البرك وقنوات المياه ، وذلك انطلاقًا من قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[١]، وأول بئر تم وقفها في تاريخ الإنسان هي بئر زمزم تكريمًا من الله لإبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام)[٢].

وقد وقف الصحابة الكرام والسلف الصالح عبر العصور الإسلامية المتعاقبة عدة وقوفات تتعلق بتوفير المياه ، مثل : بئر رومة التي وقفها عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وبئر زبيدة نسبة إلى زبيدة بنت جعفر بن المنصور زوج هارون الرشيد الخليفة العباسي الخامس ؛ حيث أمرت بحفر هذه البئر في مكة المكرمة ، ووقفتها حسبة لله تعالى وخدمة لحجاج بيت الله الحرام [٣] ، وآبار المسجد الأقصى المبارك ، وعددها (٢٧) بئرًا [٤]، بالإضافة إلى مئات السبل والبرك التي تم وقفها في عهد المماليك.

(١) الأنبياء: ٣٠.

(٢) إن قصة إسماعيل (عليه السلام) وأمه هاجر مشهورة ، انظر: السنن الكبرى للنسائي ، كتاب المناقب ، مناقب هَاجَرُ (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) ، حديث رقم: ٨٣١٨ ، وتاريخ الطبري : جـ١ /ص٢٥٢.

(٣) تاريخ الطبري: جـ٨ /ص٢٤٠، ص ٢٥٤، ص ٣٥٩، ص٣٦٠، ص٣٦٢، ومحاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) لمحمد الخضري: ص ١٢٥، ص١٣٨، ص ١٥٧.

(٤) الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل لمحيي الدين الخليلي: جـ ٢ /ص ١٢، ص ٢٣، ص ٣٣. ودليل المسجد الأقصى المبارك: د. عكرمة صبري ، وكتاب تاريخ قبة الصخرة الشريفة لعارف العارف: ص ٢٠٩، ص ٢١٠.

٤ -المجال الصحي:

ومن ذلك إقامة المستشفيات الثابتة والمتنقلة ، وقد بدأت فكرة إنشاء المستشفيات أو المشافي في عهد الرسول محمد ﷺ ؛ حيث كان المستشفى بادئ الأمر متنقلًا في ميادين الحروب ضد المعتدين ، فقد خصص ﷺ خيمة أمر بإقامتها في يوم الخندق ٥هـ /٦٢٦م لتضميد الجرحى وإسعافهم ، فكانت هذه الخيمة أول مستشفى بسيط ، وكانت الصحابية أم عطية نسيبة بنت كعب وقيل: بنت الحارث الأنصارية المسئولة عن المستشفى المتنقل في المعارك ، ويكون مقر المستشفى وقت السلم بالقرب من المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة (١).

ثم توسعت المشافي وتطورت في العهد الأموي ، وكان أول من بنى المستشفيات بالمفهوم الحديث هو الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ٨٩ هـ ٧٠٧م) (٢)، كما أنه هو أول من أقام المشافي للأشخاص المصابين بالأمراض المعدية، وبنى الملاجئ للعجزة ولأصحاب العاهات، وأجرى على المستشفيات أرزاقًا وأوقافًا مستمرة، وخصص لكل مقعد خادمًا ولكل ضرير قائدًا، وعنه

---

(١) الإكمال في أسماء الرجال: جـ ٣/ص٧٣١، ٧٣٢، والمنتقى من أحاديث المصطفى د. عكرمة صبري: ص٤٧٨، وتاريخ الطب في الإسلام ، د. خلقي خنفر: ص ٤٧.

(٢) تاريخ العرب والمسلمين : ص ١٠٤، والمدخل في تاريخ الحضارة العربية لناجي معروف : ص ١٠٢، ومجموعة أبحاث في الحضارة العربية، د. شوكت الشطي: ص ٩٤.

نقل الغرب فكرة بناء الملاجئ للعجزة والمصابين[١]، ومن المشافي الموقوفة عبر التاريخ الإسلامي ما يلي:

مستشفى ابن طولون بمصر[٢]، والمستشفى العضـدي في بغداد ، ومستشفى نور الدين في دمشق ، والبيمارستان الصلاحي بالقدس.

٥ -المجال التربوي والاجتماعي:

ومن ذلك إنشاء دور لرعاية الأيتام ووقف وقفيات للعناية بهم ومساعدة الفقراء، حيث اهتم أهل الخير والمحسنون من فئات المجتمع المختلفة وطوائفه بهذه الشرائح من المجتمع الأيتام والفقراء والمساكين)، ووقفوا وقفيات خاصة بهم، ولشدة العناية بهم فإن معظم الوقفيات ذات المقاصد والأهداف المتعددة والمتنوعة لا تخلو من ذكر الأيتام والفقراء والمساكين لمساعدتهم ورعايتهم، وهذا ما حث عليه ديننا الإسلامي العظيم.

ومن مظاهر رعاية الأيتام إقامة مدارس خاصة بهم لتعليمهم وتأهيلهم؛ ليعتمدوا على أنفسهم وليكونوا أعضاء صالحين نافعين في المجتمع، وقد

---

(١) تاريخ الطبري : جـ٦ /ص٤٣٧، وتاريخ العرب والمسلمين: ص١٠٤، ص١٢٦، وكتاب الدولة العربية وسقوطها للمستشرق الألماني يوليوس ولهاوزن ، ترجمة د. يوسف العش: ص ١٨٤، ومجموعة أبحاث في الحضارة العربية والإسلامية : ص ٩٤.

(٢) تاريخ العرب والمسلمين : ص ١٨، ومجموعة أبحاث في الحضارة العربية والإسلامية : ص ٩٥، وتاريخ الطب في الإسلام: ص ٥٤، ص٥٥.

تعددت تلك الدور في السابق واللاحق على مدار التاريخ الإسلامي، وبلغت حدًّا من الكثرة ضمانًا لسلامة المجتمع وأمنه.

وختامًا.. فهذا استعراض موجز لخمسة مجالات فقط من مجالات الوقف المتعددة؛ تلقي الضوء على دور الوقف وتأثيره القوي ومشاركته الإيجابية في تحقيق الأمن المجتمعي.

*   *   *

دور الوقف في مجال التعليم(*)

إن المدقق في أحوال الأمم يدرك إدراكًا تامًا أن هذه الأمة – التي خصها الله بالخيرية - إنما نهضت بالإسلام، وبالتشرف بتطبيق أحكامه ومنها الوقف المطلوب شرعًا، وأن الوقوف التي وقفت على العلم والتعليم والعلماء والمدرسين أورثت عزًّا للعلماء ومواقف مشرفة عنهم، كما عززت ودعمت التعليم والبحث العلمي؛ ومن ثم أسهمت في النهضة الإسلامية، فحريٌّ بالباحثين عن عز هذه الأمة أن يدرسوا الأوقاف أحكامًا وتطبيقًا في جميع المجالات ، حيث إن التعليم يرفع إلى مكان عليّ، والفضل في ذلك لكل سخيّ بذل ماله وقفًا لكل أميّ؛ ليقرأ ويكتب ويتقدم على كل دعيّ، ومما لا شك فيه أن الأوقاف التي وقفت على التعليم كانت بذرة خير في منبت خير، أثمرت علمًا وتقدمًا في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.

أولا: الوقف على التعليم:

الوقف في سبيل العلم مقصود شرعًا، وحقيقته: إبقاء أصل الشيء وصيانته وصرف العائدات منه في وجوه الخير المحددة، وهي هنا التعليم(١)، وقد عبَّر الفقهاء عن الحقيقة عندما عرَّفوا الوقف وفقًا لاختلاف مذاهبهم، وإن كانت جميعها تبين أن مصرف الوقف ينبغي أن يكون مصرفًا مباحًا،

(*)أ.د/أحمد محمد هليل، وزير الأوقاف بالمملكة الأردنية الهاشمية سابقًا .

(١) الوقف في الفقه الإسلامي، القاضي مجاهد الإسلام القاسمي : ص ٨.

وأن يكون على من يحدده، فهو متروك لرغبة الواقف، ولسنا بصدد عرض هذه التعاريف، مع توجه البحث إلى مصرف من مصارفها وهو التعليم، فهو الجهة المنتفعة من العين المحبوسة ، والتي شرط فيها الفقهاء شرطين، هما: أن يكون أهلًا للتملك ، وأن يكون جهة بر وقربة ، وليس جهة معصية[١].

ومما لا شك فيه أن مجال التعليم باعتباره مصرفًا للوقف هو جهة بر وقربة، وقد امتدح الله تعالى أهل العلم في مواضع شتى، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٢].

كما حث رسولنا الكريم ﷺ على طلب العلم، وبيَّن فضل العلم والعلماء، ومن ذلك قوله ﷺ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ»[٣]، وقوله ﷺ: «إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ»[٤]، وقوله ﷺ: «إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ ليلة البدر عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ»[٥]، وقوله ﷺ: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ

---

(١) دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة ، د. أحمد الجمل: ص ٤٥.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) سنن أبي داود ، كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم ، حديث رقم : ٣٦٤١.

(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم ، حديث رقم : ٢٢٣.

(٥) سنن أبي داود ، كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم ، حديث رقم : ٣٦٤١.

الْأَنْبِيَاءِ، وإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[1].

كل ذلك وغيره كثير يؤكد أن الوقف في التعليم بر وقربة، وقد حث الشرع الكريم على البر ورغَّب فيه ، ففي البر تدوم الصلة وتنقطع البغضاء ويتحابّ الناس فتسمو الهمم ، وتأتلف القلوب على الأمور النافعة، وتتجنب الكيد للآخرين وتتجه إلى العمل المنتج النافع.

والتعليم في الإسلام مطلب شرعي وواجب ديني ووطني[2]، والوقف على مؤسساته من القرب التي يندب إليها لما تحققه من المصالح وما تؤديه من دور، وقد تقرر أن الوقف على هذه المؤسسات مندوب سواء كانت العلوم قربة في ذاتها كالعلوم الشرعية أو قربة لمقصدها كسائر العلوم الأخرى[3].

ـ الوقف على مؤسسات التعليم:

أسهمت الأموال الوقفية في التعليم من مرحلة الطفولة حتى المراحل الدراسية العليا المتخصصة، وحتى نظام المدارس والتخصصات التي انتشرت بعد نمو المعرفة الإسلامية؛ حيث إنها قد اعتمدت كليًّا على هذه

(١) سنن أبي داود ، كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم ، حديث رقم: ٣٦٤١.

(٢) الدور الاجتماعي للوقف، د. عبد الملك أحمد السيد: ص ٢٢٩.

(٣) الوقف وأثره في تنمية موارد الجامعات، د. سليمان بن عبد الله: ص ٢٩٦.

الأموال، وكان ما أثمرته الأموال الوقفية من مساجد ومدارس قد أحدث تأثيرًا فاعلًا في حياة المسلمين، مما أدى إلى حضارة إسلامية متطورة بينما بقيت باقي المجتمعات في ركود وسكون(١).

وكان المسجد أول منطلق للتعليم ، وبه كانت بداية المؤسسات التعليمية ، فالمسجد هو اللبنة الأولى للتعليم والتدريس ، ولم تكن المساجد إلا منشآت وقفيه (٢).

ثم يأتي دور الكتاتيب ، جمع كُتَّاب ، وهو مرفق تعليمي لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم وقواعد الإملاء والترقيم ، وهو يرادف المدارس الابتدائية مع الفارق، وهي مرافق تعليمية خاصة بالصبيان دون الكبار، وكانت في أمكنة مستقلة عن المساجد(٣).

وقد انتشرت الكتاتيب التي تمَّ تمويلها بأموال الوقف حتى عدَّ ابن حوقل منها ثلاثمائة كُتّاب في مدينة واحدة من مدن صقلية ، وذكر أن الكُتَّاب الواحد كان يتسع للمئات أو الآلاف من الطلبة (٤).

بينما كانت المدارس هي المرفق الوقفي المهيأ أصلًا لتدريس العلوم

---

(١) انظر حول ذلك: الدور الاجتماعي للوقف، د. عبد الملك أحمد السيد: ص ٢٢٨، ص ٢٢٩، ص ٢٤٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٣١.

(٣) انظر: الإيمان واهتمام الوقف بالعلم والتعليم ، د. أحمد بن محمد المغربي: جـ١ /ص٦٠٠، ص٦٠١.

(٤) الدور الاجتماعي للوقف، د. عبد الملك أحمد السيد: ص ٢٣١.

الإسلامية قاطبة وغيرها من العلوم(١)، وقد بدأت المدارس تنتشر خارج المسجد ولكنها ظلت ملتصقة به، بل إن بعضها كان يطل على المسجد من خلال شباك فُتِح في جدار المسجد مثل: مدرسة الشريف جار الله بمكة المكرمة ، وقد أقيمت المدارس حول الحرم المكي الشريف في مكة، كما أقيمت في أماكن ليست ببعيدة عن المساجد في الأمصار الإسلامية، وكانت هذه المدارس برعاية من المسلمين وأثريائهم الذين أوقفوا الوقوف على عمارتها ومصارفها(٢).

لقد انتشرت المدارس في العالم الإسلامي انتشارًا مذهلًا وكان الوقف هو المورد الأساسي لهذه المدارس حتى قيل: لولا الوقف ما كان بالإمكان أن تقوم قائمة المدارس في العصر المملوكي(٣)، ولم يقتصر تأثير الوقف وفضله على رفد المدارس وإمدادها بالموارد المالية الضرورية لسد حاجاتها ولكن امتد إلى التوجيه التربوي؛ إذ كان يتدخل في توجيه العملية التعليمية وفي تعيين العلوم والفنون التي يجب أن تدرس، وفي المقاييس والمؤهلات العلمية التي يجب أن يتوفر عليها العالم الذي يتولى التدريس(٤)، وتعد الجامعات بالمفهوم المعاصر هي امتداد لهذه المدارس.

---

(١) الدور الاجتماعي للوقف: جـ١ /ص٦٠٩.

(٢) انظر: الوقف مكانته وأهميته الحضارية، د. فواز بن علي الدهاس: جـ١ /ص ٣٠، ص ٣١.

(٣) تسخير البحث العلمي في خدمة الأوقاف وتطويرها، د. ناصر بن سعد الرشيد: جـ١ /ص٤٩٣.

(٤) دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، أحمد محمد: ص ١٤٥.

ثانيًا: من أحكام الوقف الفقهية المتعلقة بالتعليم:

أورد الفقهاء مسائل فرعية فقهية ذات صلة بالتعليم؛ تؤكد على الترغيب فيه ودعم العلماء والطلبة، وتسهيل طلب العلم، وذلك مع مراعاة أن تلك المعايير وهذه الفروع ليست شروطًا توقيفية ، إنما هي أمور استرشادية يمكن أن يقاس عليها وفقًا لتغير ظروف الزمان والمكان ونوع التعليم وتطوره ، ومن المعلوم أن مقصد الشرع منوط بالتعليم ، دون نظر إلى أماكنه أو وقت حضور الطلاب له ، ومن ذلك:

١ - إن كان الوقف على ساكني مدرسة بعينها لا يستحق إلا من جمع بين السكنى والتفقه، لأن السكنى مشروطة لفظًا والتفقه مشروط دلالةً وعرفًا، والسكنى لا يتحقق فيها إلا بأن يأوي إلى بيت من بيوتها مع أثاثه وآلات السكنى، فإن كان يتفقه فيها نهارًا ويبيت خارجها للحراسة لا يحرم؛ لأنه لا يخل بالشرطين، وإن قصَّر في التفقه نهارًا واشتغل بشغل آخر، فإن كان بحال يُعد من متفقهي المدرسة رزق، وإلا حرم(1).

٢- المدارس التعليمية إذا كانت نهارية ولم يشترط الواقف تخصيصها للفقراء، فينتفع منها الغني والفقير بدون تمييز بينهما، ولو خصصها للفقراء فقط فهنا نجد أن التقيد بالشرط أصبح لازمًا ، أما إذا كانت المعاهد التعليمية معاهد ليلية ويعطى فيها الطعام واللباس وباقي

---

(١) الإسعاف في أحكام الأوقاف، برهان الدين إبراهيم بن موسى الطرابلسي: ص ١٣١.

المتعلقات الأخرى التي يحتاجها طلبة العلم، مثل: المجاهر أو التلسكوبات أو الخرائط، وجعلها للفقراء فينتفع منها هؤلاء فقط، أما لو أوقفها على الأغنياء فقط فيبطل الوقف(١).

٣- إذا خربت مدرسة في قرية وتفرق سكان القرية واستغنى عن المدرسة المذكورة، جاز استغلال بناية المدرسة لأغراض أخرى، وصرفت غلتها على أقرب مدرسة في قرية أخرى، أو يجري استبدالها (٢).

٤ - الإيقاف على التعليم يستوي في الاستفادة منه الكبير والصغير والغني والفقير، فلا يحرم منه أحد؛ بل يستفيد منه كل من طلب العلم؛ فيستطيع أن يأخذ من أموال الوقف بالمساواة (٣).

ثالثًا: نماذج من المدارس الوقفية:

كان الوقف يمثل أحد دعائم النهضة العلمية والفكرية على مدار القرون، حيث أسهم الواقفون في مساندة المسيرة التعليمية؛ وذلك عن طريق تشييد المدارس والإنفاق عليها، والإفادة من المساجد في التعليم، والعناية بتوفير مصادر للمعلومات عن طريق وقف الكتب على المدارس وجهات التعليم المختلفة(٤)، ومن أبرز المدارس الوقفية ما يلي:

---

(١) الدور الاجتماعي للوقف، د. عبد الملك السيد: ص ٢٣٧.

(٢) المصدر السابق نفسه: ص ٢٣٧.

(٣) دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، أحمد محمد الجمل: ص ١٤٤.

(٤) أثر الوقف في تشييد بنية الحضارة الإسلامية، د. محمد العيد الخطراوي، ص١.

١ - المدرسة الصالحية بمصر: أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤١هـ على غرار المدرسة المستنصرية ، وهي أول مدرسة درست المذاهب الأربعة بمصر، وأوقفت عليها أوقاف ضخمة [١].

٢- المدرسة الظاهرية بمصر: أنشأها الظاهر بيبرس سنة٦٦٢هـ في القاهرة، وأوقف عليها المال الكثير؛ مما جعلها أجمل مدرسة في مصر، وجعل فيها أربعةَ أواوين، اثنين للحنفية والشافعية واثنين للحديث والقراءات السبع.

٣- المدرسة المعتصمية في بغداد: أنشأتها شمس الضحى حفيدة صلاح الدين الأيوبي في منطقة الأعظمية بالقرب من جامع الإمام أبي حنيفة، وأوقفتها على المذاهب الأربعة.

٤ - المدرسة المنصورية: نسبة إلى المنصور بن قلاوون، وفي هذه المدرسة أقيمت دروس على المذاهب الأربعة مع درس للطب وسائر الدروس الأخرى، ووقف عليها وقف عظيم[٢].

٥ - المدرسة الغادرية: تنسب المدرسة الغادرية إلى واقفها الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر ، وقد بنيت هذه المدرسة في عهد الملك الأشرف

---

(١) انظر: الدور الاجتماعي للوقف ، ص٢٣٩، والوقف في خدمة البحث العلمي ، د. ناصر بن إبراهيم : جـ١ /ص٦٦٨، والوقف وأثره التنموي ، د. علي جمعة : ص ١١١.

(٢) انظر: والوقف في خدمة البحث العلمي، د. ناصر بن إبراهيم التويم: جـ١ /ص٦٦٨.

برسباي، وقد عمرتها زوجته مصر خاتون سنة ٨٣٦هـ، وعليها أوقاف منها: الخان الكائن بباب القطانين مع الدكاكين الستة التابعة له[١].

٦- المدرسة الصدرية بدمشق: واقفها صدر الدين بن منجا(٥٩٨ – ٦٥٧) وهي مدرسة للحنابلة؛ وكان الواقف ذا مال وثروة[٢].

٧- المدرسة المحمودية: أنشأها الأمير جمال الدين محمد بن علي الأستادار سنة ٧٩٧هـ، وقد عمل فيها خزانة لا يعرف مثلها بديار مصر والشام[٣].

٨- المدرسة السعدية : بناها الأمير شمس الدين سنقر نقيب المماليك السلطانية سنة ٧١٥هـ ، وبنى بها رباطًا للنساء[٤].

الوقف على الأعمال المتصلة بالتعليم:

١- الوقف على البحث العلمي: لقد أسهمت الأموال الوقفية في البحث العلمي، وكانت المساجد والمدارس منها ميادين البحث العلمي، وكان العلماء والفقهاء هم الباحثون فيها، وكانت تغدق عليهم الأموال؛ لينفقوا منها على أنفسهم وعلى أبحاثهم.

---

(١) انظر: المدارس في بيت المقدس، د. عبد الجليل حسن عبد المهدي: جـ ٢ /ص١١٩.

(٢) انظر: الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي: جـ ٢ /ص٨٦.

(٣) السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده ، د. حياة ناصر الحجي: ص ١٢١.

(٤) انظر: المواعظ والاعتبار للمقريزي: جـ٣/ص١٥٥م عن موقع alwarraq.com .

وقد برز تمويل البحوث والدراسات وتنشيط حركة التأليف بالأوقاف في المجال الطبي[1]؛ فحبست أوقاف معينة على تعضيد تأليف الكتب في الطب والصيدلة والأدوية؛ مما مكَّن أساتذة الطب أن يقوموا بالتأليف والجمع والبحث، ومن أمثلة ذلك: «كتاب البيمارستانات» لزاهد العلماء الفارقي عميد إحدى المستشفيات في القرن الخامس، وكتاب: «مقالة أمينية في الأدوية البيمارستانية» لابن تلميذ، وهذا ابن البيطار صاحب علم النبات والأدوية يؤلف كتابه المشهور «الأقرباذين» الذي اشتمل على ١٤٠٠ دواء من خلال تنقله في ديار الإسلام، وبقائه ضيفًا على مستشفياتها ومدارس الطب فيها، وعاش على أموال الوقف في رحلاته[2].

٢ -الوقف على الطباعة والنشر: الوقف على الطباعة والنشر له جذوره القديمة؛ فقد أوقف المسلمون قديمًا العديد من الوقوف على صناعة الكتاب وتنمية وتطوير صناعات الورق وتحسين الخط ، كما خصص بعض الواقفين وقفاتهم على إنشاء معامل ورق لطبع الكتب[3].

إلا أن الصورة الحقيقية للوقف على الطباعة حديثة بعد اختراع آلات الطباعة وانتشارها، إذ اعتنى الحكام والأثرياء بطباعة الكتب ونشرها لما لهذا

---

(١) انظر: الوقف مفهومه ومقاصده، د. عبد الوهاب أبو سليمان: ص ٦٧١.

(٢) تسخير البحث العلمي في خدمة الأوقاف وتطويرها، د. ناصر بن سعد الرشيد ١/ ٥٠٨، ٥٠٩.

(٣) الدور الاجتماعي للوقف: ص ٢٣٠، ص ٢٤٥.

الوقف من دور إيجابي على العلم والفكر والثقافة[1].

٣-الوقف على الكتب (المكتبات): كانت المكتبات الوسيلة الأهم في تلقي العلوم ونشرها؛ وذلك لأهمية الكتب في نشر العلم، ولصعوبة الحصول عليها بشكل شخصي لندرتها وارتفاع تكاليفها من ناحية أخرى، ومن ثمّ تنافس الواقفون في إنشاء المكتبات العامة والخاصة، وفتحها أمام طلبة العلم، كما أوقفوا الأوقاف للصرف عليها؛ وذلك لنشر الثقافة وتزويد الباحثين بكل ما يُحتاج إليه من مؤلفات.

وقد تنوع الوقف على الكتب، فوقفت الكتب على المدارس والمشافي وما إليها، وانتشر في أرجاء العالم الإسلامي منذ العصور الإسلامية المبكرة، وكان له الأثر الأوفى في تعدد المكتبات وتنوع مناهلها، ومن ثمَّ تركت آثارها الواضحة في الازدهار الثقافي والعلمي الذي شهده العالم الإسلامي على مدى قرون طويلة[2]، حيث كونت المكتبات الموقوفة بيئات علمية لإلقاء الدروس وإجراء المناظرات العلمية إضافة إلى الغرض الذي وقفت من أجله أصلاً وهو القراءة والاطلاع[3].

(١) انظر: أوقاف الكتب والمكتبات ومدى استمرارها ومقومات دوام الإفادة منها، د. علي بن إبراهيم النملة: ص ٥٢ وما بعدها.

(٢) الوقف وأثره في تشييد بنية الحضارة الإسلامية، د. إبراهيم بن محمد المزيني: ص ٦٠٦، وانظر: الوقف مفهومه ومقاصده، د. عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان: ص ٦٧٢.

(٣) الإيمان واهتمام الوقف بالعلم والتعليم، د. أحمد بن محمد المغربي: ص ٦٠٥.

ومن أهم المكتبات بالجامعات والمدارس قديمًا، ما يلي:

١- مكتبة المدرسة النظامية التي افتتحت في سنة ٤٥٩هـ، وعُيِّن لها خازنان ومشرفون، وقد أوقف عليها نظام الملك الأموال لشراء نفائس الكتب في المستقبل من موارد هذه الأوقاف، ثم وسعها من بعده الناصر لدين الله الخليفة العباسي فأوقف عليها الأموال والألوف من الكتب.

٢- خزانة مدرسة الإمام أبي حنيفة التي أنشئت في سنة ٤٥٩هـ كذلك وأوقفت عليها الكتب الكثيرة؛ إذ قد احتوت على كتب الجاحظ جميعها، وقد أوقف عليها العلماء مجموعاتهم بعد وفاتهم كما فعل ابن حزلة الطبيب وغيره من الناس.

٣- خزانة مدرسة المستنصرية التي افتتحت سنة ٦٣١هـ، والتي يقول فيها ابن الفوطي في كتابه الحوادث الجامعة: إن الخليفة المستنصر نقل إليها في يوم واحد من الكتب ما حمله مائة وستون حمالًا عدا ما نقل إليها فيما بعد من كتب موقوفة أخرى.

وقد رُتِبَت حسب الفنون ليسهل استخدامها؛ إذ لا يوجد مثيل لها في العالم كما يقول ابن الفوطي: وقد جعلت مرجعًا ليس لطلبة مدرسة المستنصرية فقط والذين بلغوا في بداية افتتاحها ٦٠٠٠طالب؛ بل بقيت مفتوحة للعلماء ولعامة الناس خارج أسوار الجامعة لينهلوا من معارفها.

٤- مكتبة المدرسة البشيرية التي أنشأتها زوجة الخليفة المستعصم بالله

العباسي والتي افتتحت سنة ٦٥٤هـ، فأوقفت عليها الكتب والأموال، وكانت كتبها تعار خارج أسوار الجامعة لقاء رهن للحفاظ على الكتب وضمان إعادتها[1].

وختامًا.. فإن ما أنجزته الحضارة الإسلامية في مجال الوقف ، ودوره الداعم للتعليم والتعلم بمؤسساته ومرافقه وطلابه وعلمائه واضح جلي بما حققته هذه الحضارة من نهضة علمية ، وبما أسهمت فيه من تقدم علمي شهد به العالم ، والأمر وإن كان تاريخًا سالفًا، فهو كذلك دور موصول وتطور مستمر من جيل إلى جيل .

*　　*　　*

(١) الدور الاجتماعي للوقف : ص ٤٤١، ص٤٦١.

التكافل الاجتماعي في الإسلام(*)

أقام الإسلام نظامه في التكافل على هدي النواميس الكونية والطبائع البشرية في خَلْق الله الإنسان لتحقيق الخلافة في هذا الكون، والتعاون بين البشر وفق سنن الحق والعدل ورعاية الصالح المشترك، وبه يتعايش الناس ويعمر الكون في نطاق الاختلاف والتمايز بين بني البشر، ومصلحة الخلق في الارتقاء بالحياة، وسلوك أفضل السبل للوفاء باحتياجاتهم، وقيام اجتماعهم على أصول اجتماعية سليمة، وذلك انطلاقًا من وجود تفاوت بين الأفراد في التفكير والإدراك، وفي الأحاسيس والمشاعر، وفي القدرات والملكات، وفي احتمال التبعات والمسئوليات، وفي التزود بالروحانيات واكتساب الماديات، وفي تحصيل الأقوات والأرزاق؛ إذ يبرهن كل اجتماع بشري على أن التفاوت سنة إلهية وفطرة طبيعية إنما وجدت لتبقى وتدوم بها الحياة، ويستمر الدفع والتسابق بين الناس لسد الاحتياجات ولإحراز التقدم، وهو مجال تختلف فيه الحظوظ بين الأفراد والأمم، يقول تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

(*) أ.د/محمد الشحات الجندي، عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ورئيس الجامعة المصرية للثقافة الإسلامية بكازاخستان.

دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾[1].

لقد وعى الإسلام هذه الحقائق وأقام عليها أصول مجتمعه ، فاعترف بالتفاوت بين الناس بمقتضى الفطرة ، وضمن لكل فرد وكل جماعة فيه ضروريات الحياة بالعمل الجاد المنتج ، وفي ذات الوقت بنى المجتمع على أسس من التكافل والرحمة، ثم أرسى مبدأ العدالة في اكتساب الحقوق والتحمل بالالتزامات على سند من حصول كل فرد على نصيبه على قدر جهده وكسبه، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَ﴾[2]، لذلك أولى الإسلام عناية كبيرة لإسهام كل فرد في المجتمع على قدر جهده ولو بكلمة طيبة، وهو مسلك تكافلي، وارتقى بالعمل إلى أقصى الحدود في كل صوره، وجعل من العمل اليدوي قوة كبرى لإعمار الحياة، من أجل ذلك كان الوفاء بها يحقق لكل إنسان كرامته هو الشرط الأساس والركيزة المعتمدة في شتى صور التعامل بين الناس مع تفاوتهم وتدرجهم في الغنى والفقر.

ويمضى الإسلام في خطته للتعامل مع هذه الأوضاع المتفاوتة بين الناس ليضبط مسارها في شتى جوانبها ، وكان من وسائله الفاعلة في ذلك

---

(١) الزخرف : ٣٢.

(٢) النساء : ٣٢.

تحقيق التضامن، والحد من الاختلال الفاحش في الثروة الذي قد يفرز الصراع ويوجد الطبقية والأثرة ؛ لتكريس الكرامة كمقوم أساس في تجسيد الاعتبار للشخصية الإنسانية، والمعاملة العادلة كركيزة أساسية من ركائز النظام الإسلامي، بما يجعل الاجتماع البشري ذا مغزى حضاري يتضامن أفراده على التعاون البنَّاء للوفاء بضروريات ومطالب الحياة من خلال نظام متميز للتكافل ينبع من أصول الإسلام العقدية والتشريعية والأخلاقية والحضارية لكل من الفرد والمجتمع والدولة ، بل قد يصبو إلى البشرية قاطبة.

وسعيًا لإحراز هذه الغاية فإن الإسلام نبه إلى أهمية تبني التكافل في مفهومه الشامل، ولم يختزله في جانب المعاش دون سواه من الجوانب الأخرى التي هي لازمة لاستصلاح المجتمع ؛ حيث ينهض هذا البناء السامق على أسس عقدية ودينية، وحقائق حياتية تتعلق بالمعايش والأقوات وسبل الاجتماع والمدنيات ، ويغطي جنبات الأمور المادية والمعنوية على نحو يتجلى فيه شعور الجميع بمسئولية بعضهم عن بعض ، وأن كل واحد منهم حامل لتبعات أخيه ومحمول على أخيه، يُسأل عن نفسه ويُسأل عن غيره(١)، وترتيبًا على هذه الحقيقة يمثل التكافل الاجتماعي أحد عمد المنظومة الإسلامية والأساس القوي لبناء صرح مجتمع متماسك البنيان .

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة للإمام محمود شلتوت: ص ٤٣٥ .

ومن ذلك يتقرر أن التكافل في المنظور الشرعي إنما هو فريضة وليس مجرد فضيلة، وأنه حق وليس منحة، فقد عنيت به النصوص وشددت عليه، ومناطه أنه أحد موازين العدالة المجتمعية، بمقتضى أنه يقوم بدور ملموس في تصحيح الاختلالات الناشئة عن الفروق الفردية والتفاوت الطبقي في الشئون المادية ومكانة الفرد في الهيئة الاجتماعية ، ويتكامل به الصرح الإسلامي القائم على التعددية؛ لينتظم الكل في جسد واحد أساسه المودة والرحمة والتضامن الخلّاق، فبلغ به مرتبة الاستحقاق الإلهي، ونال به المكانة الرفيعة فيما أشاد به القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (١).

وكان هذا النموذج المتفرد للمجتمع التكافلي الذي أقامه الإسلام كائنًا حيًّا على أرض الواقع، جمع بين المثال والواقع، والروح والمادة، في نسق متوازن احتشدت فيه القوى البشرية على اختلاف أجناسها وأديانها وألوانها، انضووا جميعًا تحت لواء الإسلام: العقيدة والشريعة والنظام والدولة المتجانسة، رغم ما بينها من اختلافات وفوارق في مجتمع مركب ضم العنصر العربي والعنصر الحبشي والعنصر الفارسي والعنصر الرومي، وكذا الدين اليهودي والدين النصراني والوثني، كل هؤلاء تألفت منهم الدولة الإسلامية، فحازوا جنسية الدولة، وحصلوا على حق المواطنة؛ ومن

(١) آل عمران: ١١٠.

ثم تمتع كل فرد بحقوقه، وحصل على حاجاته الأساسية.

البناء العقدي والمؤسسي للتكافل في الإسلام:

لعل نقطة البدء في نموذج التكافل الإسلامي قيامه على أصول عقائدية وتشريعية ومؤسسية تضمن أن يقوم الشخص على كفاية نفسه وأهله، ويندرج في ذلك أقاربه وذوو رحمه وفقًا لما أكد عليه القرآن في غير موضع بقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾(٢)، وأكدت ذلك السنة بما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: " الإِشْرَاكُ بِالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ " فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى قُلْتُ: لاَ يَسْكُتُ(٣)، وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ (رَضِيَ الله عَنْهُ) أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، فَقَالَ القَوْمُ: مَا لَهُ مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «أَرَبٌ مَا

(١) النساء: ٣٦.

(٢) الأنفال: ٧٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب ، بَابٌ: عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ مِنَ الكَبَائِرِ، حديث رقم ٥٩٧٦ .

لَهُ» ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : « تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ، ذَرْهَا» قَالَ : كَأَنَّهُ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ»(١).

والتكافل بالمعنى الذي تشير إليه النصوص يدخل فيه الإحسان إلى الأهل والأقارب ، والمبادرة إلى تلبية مطالبهم ، والبر بهم ، والإنفاق عليهم، فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي..»(٢)، وانعدام هذه الخيرية بين الأهل يمثل عقوقًا وانحرافًا وخروجًا عن مقوم أساسي للمجتمع، وهو التكافل الأسري.

والتكافل في الإسلام يشمل الجيران ، وفي حق الجار قال الرسول ﷺ: «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ»(٣)، وتمتد مظلة التكافل إلى أصناف أخرى ، إلى اليتامى والمساكين والمسافر المنقطع عن ماله وابن السبيل ، وتتدرج هذه الفئات التي هي بحاجة إلى الضروريات إلى أصناف مجتمعية أخرى ، ثم إلى المجتمع بأسره ، ثم إلى

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، بَابُ فَضْلِ صِلَةِ الرَّحِمِ ، حديث رقم: ١٣٩٦ .

(٢) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَابٌ فِي فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، حديث رقم: ٣٨٩٥ .

(٣) المعجم الكبير للطبراني ، جـ١ /ص ٢٥٩ حديث رقم: ٧٥١.

الدولة كلها؛ بحيث تحقق الرعاية بكل معانيها، وهذا ما يجعل المسلم يقوم به طوعًا واختيارًا؛ إعظامًا لحق الله عليه واستشعارًا للحق العام.

ويشكل الانتماء للإسلام والوطن بعناصره الروحية والمادية وهويته ونظامه حجر الزاوية في بناء الشخصية المسلمة داخل المجتمع والدولة، فالإسلام - كما يقول باسكويه(١)- هو تصديق للرسالات السابقة ، وخلاصة الإنعام على البشرية ، وهذا ما يعطيه قدرته المدهشة على دمج المؤمنين من مختلف الأصول العرقية في مجتمع واحد مع احترامه لخصوصياتهم، ويقينًا فإن الرباط الإيماني المستند إلى ولاء المسلم وانتمائه لمجتمعه ودولته يكون أقوى داعم للتكافل على كل مستوى في المجتمع، ويؤلف بحق بين أبنائه، يقول تعالى: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢).

وإذا كانت الوحدة هي الرباط الوثيق الجامع بين المسلمين والجامع لكافة أفراد وفئات المجتمع، فهم متساوون في الحقوق والواجبات، متكافلون فيما بينهم، لا فضل لمسلم على آخر إلا بالتقوى والعمل الصالح؛ فقد شدَّدت النصوص الدينية على هذه الوحدة، وحددت مضامينها في مجموعة من التكليفات على كل مسلم تجاه أخيه ، يقول الرسول ﷺ:

---

(١) إظهار الإسلام ، روجيه باسكويه: ص ١٧.

(٢) الأنفال: ٦٣.

«الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ الله فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

لقد أقام الإسلام المجتمع على مقومات التكافل الإنساني، وعلى نحو يحفظ قوته، ويحمي وحدته، ويضمن تعايشًا مشتركًا بين مكوناته، ويحض على التعاون على البر والتقوى، بما ينهض بالمجتمع البشري ويرتقي به، واضعًا نصب عينيه أن أعظم إنجاز حضاري يكمن في تربية الإنسان المنتمي لدينه ووطنه وبلده ودولته.

ويظل نموذج الرسالة والرسول ﷺ هو القيمة العليا التي يصبو إليها الفرد والمجموع، ويمثله الفرد والمجتمع الإنساني بحسبان الرسول القدوة والأسوة الحسنة بما أرساه من تعاليم ومبادئ ، أخصها في هذا المقام اللين في القول وحسن المعاشرة، وما أجدر أن يتحلى به المؤمن في أقواله وأفعاله، يقوله جل شأنه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾(٢)، وإذا كان هذا هو منهج صاحب الرسالة في التعامل مع كافة

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَاب الْمَظَالِمِ وَالْغَصْبِ ، بَابٌ: لاَ يَظْلِمُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ ، حديث رقم ٢٤٤٢ ، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٨٠.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

المواقف والأحوال، فلقد بلغ الرفق والرحمة مداهما في الشخصية المحمدية؛ إذ كانت غاية ومقصد الرسالة الإسلامية الرحمة بالناس لتعم الخليقة جمعاء، فيما جاء به البلاغ القرآني: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، وهو معلم من معالم الرسالة الخاتمة ، يجسد الرحمة الإلهية ، ويؤكد على التراحم كمطلب إيماني ومظهر حضاري.

ومما هو مسلم به أن حاجة الإنسان إلى إغناء نفسه وتوفير متطلباته الحياتية من الغذاء والكساء والسكن والعلاج له ولمن يعوله هي قضية جوهرية تقع في صميم التكافل المجتمعي بحسبانها شاغل كل فرد أو فئة من فئات المجتمع، واستشعارًا لأهمية ذلك أولى الإسلام هذا المطلب العناية الجديرة به ، وبلغ الاهتمام به أن جعله حقًّا واجبًا وقضية حتمية قرر فيها التزامات ، وحدَّد فيها مسئوليات ، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[3].

وقد التزم بذلك صحابة رسول الله ﷺ، وكان أقواهم في ذلك أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الذي لم يتردد في قتال من منع الزكاة انتصارًا لحق

(١) الأنبياء : ١٠٧.

(٢) المعارج : ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) الذاريات : ١٩.

المحتاجين ، وحرصًا على بلوغ هذه الغاية بتوفير القوت الضروري والأمن المجتمعي للفقراء والمحرومين ومن على شاكلتهم من الضعفاء والمكروبين، فقد جعل القرآن سد الحاجة الضرورية من عين البر كتعبير عن الإيمان بالله تعالى وطاعة أوامره وأداء الحقوق الواجبة لطوائف من الناس، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ... ﴾(1).

وقد أثمر هذا الاهتمام الإسلامي حرص الصحابة على إطعام السائلين والمحتاجين كأنفسهم، وهو ما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾(2).

عموم التكافل المجتمعي:

يعدُّ التكافل المجتمعي في الإسلام ركنًا من أركان نظامه الاجتماعي، فقد أوجب الإسلام ضمان القوت الضروري لكل محتاج كحق واجب لا مجال للمساس به ، وتمتد هذه المسئولية إلى عموم أقاليم الدولة ؛ لأن

(1) البقرة: ١٧٧.

(2) الإنسان: ٨، ٩.

النصوص وردت مطلقة لا تتقيد بإقليم دون آخر، وهذا ما بينه الفقهاء فيما ذهبوا إليه من جواز نقل الزكاة بين الأقاليم بضوابط تكفل تلبية حاجة المعوزين والمعدمين والفقراء والمساكين[1]، ويقول الموصلي الحنفي: إن من اشتد جوعه حتى عجز عن طلب القوت ، فُرض على كل من علم به أن يطعمه أو يدل عليه من يطعمه صونًا له عن الهلاك ، فإن امتنعوا عن ذلك حتى مات اشتركوا في الإثم[2]، وقد وجد هذا الرأي سندًا له في حديث النبي ﷺ : "أَنَّهَ بَعَثَ مُعَاذًا (رَضِيَ الله عَنْهُ) إِلَى اليَمَنِ ، فَقَالَ : «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنِّي رَسُولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»[3]، فإن عموم لفظ الفقراء يشمل الموجودين داخل الإقليم أو خارجه ، والتخصيص بمكان الزكاة لا مرجح له ، فيكون تخصيص بلا مخصص ، ويكون نقل الزكاة جائزًا بناءً على ذلك الفهم الفقهي السديد .

---

(١) انظر: المبسوط للسرخسي: جـ ٢/ص١٨٠ - ص١٨١، والأحكام السلطانية للماوردي: ص ١٢٤، والمغني لابن قدامة : جـ٢/ص٥٣١، ص ٥٣٢.

(٢) الاختيار للموصلي الحنفي : جـ٤/ص٣٣.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، بَابُ وُجُوبِ الزَّكَاةِ ، حديث رقم : ١٣٩٥ .

ولا ينبغي أن يفهم أن النصوص الدالة على الوفاء بالضروريات مقصورة على المسلمين، فإن هذه المسئولية تمتد لغير المسلمين من مواطني الدولة الإسلامية؛ إذ إن غير المسلمين جزء من نسيج المجتمع ومن أعضائه الذين يشملهم الجسد الإسلامي، وإلى ذلك ذهب القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾[1]، وهو أن مطلق لفظ الفقراء في الآية لا يقتضي الاختصاص بالمسلمين دون أهل الذمة ، وذهب فخر الدين الرازي إلى أن قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ﴾[2] نص مباشر في الصدقة على غير المسلمين[3]، فالصدقة تستحب على كل فقير وإن كان كافرًا ، ويعضد الكتاب الكريم السنة النبوية المطهرة ؛ فقد روى سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ تصدق على أهل بيت من اليهود صدقة فهي تجري عليهم[4].

من روافد التكافل المجتمعي:

ويضيف التكافل في الإسلام موارد أخرى يدعم بها مسيرة التضامن

(١) التوبة : ٦٠.

(٢) البقرة : ٢٧١.

(٣) التفسير الكبير للرازي: جـ ٧/ص٧٦.

(٤) نصب الراية للزيلعي: جـ ٢/ص٣٩٨.

الاجتماعي ، فإلى جانب الزكاة توجد موارد أو روافد أخرى ، نذكر من بينها ما يلي:

الصدقات: وهي بذل المال وإنفاقه على المحرومين والعجزة والمحتاجين والأرامل والشيوخ ومن فقدوا والديهم من الأطفال، وكل من نزلت به نازلة، ومعتمدها الأريحية والمروءة التي يعمر بها وجدان المسلم وضمير الخير الذي يحيا داخله، وهي مورد بلا حدود، لا يقف العطاء فيها عند حد أو مقدار بعينه، كما لا تتحدد بوقت معين لإخراجها كما هو الشأن في الزكاة، وكان وعد الله بالنماء بتعويض ما أنفقه وإخلافه على المتصدق بالرزق الحسن، لذلك قال الحق تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(١).

الوقف: وهو من أهم الروافد الداعمة للتكافل المجتمعي، بواسطة حبس الواقف بعض المال وتخصيصه للصرف منه على أوجه البر والخير، فهو يضيف أبعادًا اجتماعية ومعاشية وحضارية لفتح أبواب العطاء للأهل وذوي القربى والمشاركة المجتمعية في صور لا تتناهى ؛ حيث إن الوقف معتمده أنه صدقة جارية وعطاء متصل قد يكون بحبس بعض المال على الأهل والأقارب المتمثل في نوع الوقف الأهلي ، وقد يتأتى في عمل

---

(١) سبأ : ٣٩.

مساهمات اجتماعية وتنموية في مرافق المجتمع ومصالحه العامة في صورة الوقف الخيري.

الوصية: وهي تصرف في التركة من جانب الموصي يسري بعد وفاته في حدود ثلث التركة، وهي تبرع يبتغي بها الموصي التقرب إلى الله أو للصرف على نشاطٍ خاص أو عام، أو للإحسان إلى شخص، أو مجاملة صديق، أو معونة قريب، وهي رافد تكافلي مطلوب شرعًا، مندوب إلى فعله بحديث الرسول ﷺ: « مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ وَلَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ »(١).

صدقة الفطر: وهي باب المعونة والمواساة لإدخال البهجة والسرور على الفقراء والمساكين في عيد الفطر، تجب على المسلم وعلى كل من تلزمه نفقته من الزوجة والأولاد والخدم ؛ إغناءً للفقراء في يوم العيد ، ووفاءً باحتياجاتهم ونفقات معيشتهم في هذه المناسبة.

الأضحية: وهي واجب تضامني أو سنة يتصدق فيها المسلم بذبح ماشية يعطي منها لنفسه ولأهله وللفقراء في مناسبة عيد الأضحى، يقول تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾(٢)، وبقول الرسول ﷺ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَى

---

(١) سنن الترمذي ، أبواب الجنائز ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الحَثِّ عَلَى الوَصِيَّةِ، حديث رقم ٩٧٤ ، وسنن ابن ماجه ، أبواب الوصايا، باب الحيف في الوصية، حديث رقم: ٢٧٠٢.

(٢) الكوثر: ٢.

كُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ فِي كُلِّ عَامٍ أُضْحِيَّةٌ.. "(١)، وهي صورة تكافلية بين أفراد المجتمع في يوم الأضحى ، يتشارك فيه الأغنياء والفقراء بالأكل من الذبيحة في مناسبة عيد لا ينبغي أن يحرم من الاحتفال به أحد.

الكفارات: وهي غرامة مالية في أغلب أحوالها، تجب على من وقع في جريمة أو ارتكب محظورًا يؤديه إلى الفقراء والمساكين كبدل يكفر به عن الوقوع في المحرم، وهي تُؤدَّى في العبادات عند انتهاك حرمة الصيام والحج، كما تجب في المعاملات حالة الحنث في اليمين وفي الظهار ، وفي الجنايات كالقتل الخطأ وغيره ، وهي بإيجابها في الحالات المذكورة تضيف رافدًا آخر إلى التضامن الاجتماعي ، وتقوي روابط الاجتماع للأهل والأقارب والفقراء.

هذه الروافد المالية ذات طبيعة تكافلية اجتماعية تربي الضمير، وتغرس الوازع الديني على أن في ذمة القادر على أدائها واجبًا يسهم به لصالح فئة تعاني الحاجة والفاقة، وهي تبغي الحصول على حد الكفاية بما يوفر لها الكرامة الآدمية، ويؤكد على إحساس جميع الأفراد بمسئوليتهم نحوهم، وبأن الفرد يعيش لنفسه ولأهله وللمجتمع، وهو ما يشعر الكل أنه قوي

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأضاحي، باب ما جاء في إيجاب الأضاحي، حديث رقم: ٢٧٨٨.قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «الْعَتِيرَةُ مَنْسُوخَةٌ هَذَا خَبَرٌ مَنْسُوخٌ»، وسنن الترمذي ، أبواب الأضاحي ، بَابُ الأَذَانِ فِي أُذُنِ المَوْلُودِ ، باب منه ، حديث رقم : ١٥١٨ .

بمجتمعه المتكافل ، وأنه آمن في ظل هذا النظام ؛ إذ من خلاله يعيش مع الناس وبالناس من أجل الناس.

وبذلك تضيف هذه المنظومة التضامنية موردًا آخر يقدم قيمة حضارية للمجتمع الإيماني الذي ينتمي أعضاؤه إلى الدولة ، وبه يتكامل الفرد مع المجتمع والمجتمع مع الفرد في كيانٍ واحد ينعم فيه الفرد والدولة بشريعة التكافل في الإسلام.

* * *

المواساة كمظهر للتكافل الاجتماعي وركيزة للأمن المجتمعي (*)

يبدو البُعد المجتمعي واضحًا في هدي الإسلام وتعاليمه من خلال ما أمر الله به عباده وما نهاهم عنه، انطلاقًا من أن أعمال العباد - خيرًا وشرًّا - هي لهم يحصيها ربهم ، فمن وجد منهم خيرًا فليحمد الله على توفيقه وعونه، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه؛ فالله تبارك وتعالى خالق العباد ورازقهم وهاديهم، غني الغنى المطلق والكامل عن أن تنفعه طاعات المطيعين أو تضره معاصي العصاة ، فهو الأول والآخر وهو الغني وهو الصمد الذي يتوجه إليه العباد بحاجاتهم فلا يعيا بقضائها، ولا ينقص ذلك من ملكه شيئًا إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر.

من هذه المسلمة في العقيدة والتصور ينبغي النظر إلى هدي الإسلام في مختلف مجالاته وجوانبه، وبوجه خاص فيما يتعلق بالبعد الاجتماعي الذي سعت تعاليم الإسلام إلى تركيزه وتقويته انطلاقًا من التذكير بوحدة الأصل، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾(١)، فكل الناس من آدم ، وآدم من تراب ، كرمهم الله وفضلهم

(*) أ / محمد صلاح الدين المستاوي ، الأمين العام للمجلس الإسلامي الأعلى ، تونس .

(١) الحجرات : ١٣ .

واستخلفهم في الأرض ، وجعلهم شعوبًا وقبائل، فمن آمن منهم جمعهم الإيمان بالله تعالى وتلك رابطة تزول بها الفوارق من عرق وجنس ولغة ولون وفئة، فيصبح العمل الصالح هو المضمار الذي يقع فيه التنافس بينهم من أجل إحراز مرضاة الله.

لقد اعتبر الإسلام الأمن المجتمعي هدفًا ينبغي تحقيقه والحيلولة دون انخرامه، وجعل لهذا الأمن أسسًا وأركانًا أحكم بناءها وقواها، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[(١)]، ووفق بين ثنائية الدنيا والآخرة والتي تبدو متعارضة متناقضة ظاهرًا، وقد ظهر هذا واضحًا جليًّا في الواقع العملي الذي جسده الإنسان المسلم في أرض الواقع في عهد النبوة والخلافة الراشدة، وفي فترات أخرى مضيئة من تاريخ الأمة، امتثالاً لما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[(٢)].

وقد كان من بين هذه الأسس التي أرساها الإسلام لتحقيق الأمن المجتمعي المواساة بين الناس؛ فالمواساة أصل من أصول نظام الإسلام، وكانت من أول ما دعا إليه الإسلام ونزل به القرآن الكريم في أوائل نزوله،

---

(١) الأعراف: ٣٢.

(٢) القصص: ٧٧.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾(1)، وقال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ﴾(2)، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾(3)، وعن مواساة الأنصار للمهاجرين قال تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾(4).

وأقسام المواساة تظهر في أمور كثيرة مثل: الزكاة، والصدقة، والإنفاق، والهبة، والقرض، والعارية، والإرفاق، وهي تنقسم إلى قسمين: جبرية واجبة، واختيارية مندوب إليها، وفي هذا التقسيم حكمة؛ لأن الناس صنفان: صنف يندفع إلى الإحسان بدافع من طبعه لما به من السخاء ومحبة الخير والزلفي، وصنف لا يندفع إليه من تلقاء نفسه ولكن بدافع الإلزام والجبر وخوف العقوبة، فلم يجعل الإسلام المواساة كلها اختيارية، كي لا يحرم المحتاجون مواساة فريقٍ من الناس، ولم يجعلها كلها واجبة لكي لا يُحرم المؤمنون فضيلة السخاء بالوقوف عند الواجب؛ لأن الاعتياد

(1) البلد: ١٢-١٦.

(2) المدثر: ٤٢-٤٤.

(3) المزمل: ٢٠.

(4) الحشر: ٩.

بالاقتصار على الواجب ينسي النفوس طلب زيادة الثواب، فلعل كثيرًا من النفوس لا تنتبه إلى المواساة بما يزيد على أداء الواجب، ولئلا يرتفع الإحسان والفضل بين المؤمنين؛ بل يدومان ببذل الباذلين معروفهم عن اختيار منهم، وبتلقي المعروف من المبذول إليهم فيحصل بذلك بين الفريقين تآلف وتواد، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ﴾(١).

ولتحقيق قصد الشريعة من جعل المواساة خُلقًا للمسلمين جاءت الأوامر والنواهي بتجريد أنواع المواساة عن كل ما فيه حظ عاجل لنفس من يواسي ، وعن كل ما فيه إضرار بمن يواسيه أو يوجه إليه بذله وعطاءه، وعن اتباع النفس لما بذلته من المعروف والفضل وتعلقها به، فتنزيه المواساة عن حظ نفس الباذل مستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾(٢)، وجعل ثواب من يخفي الصدقة عظيمًا؛ فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال رسول ﷺ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي الله، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ

(١) البقرة: ٢٣٧.

(٢) الإنسان: ٩.

شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ "[1]، وقال تعالى: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾[2]، غير أن الشريعة الإسلامية لم تنه عن إظهار الصدقة ، وإن كان الإسرار بها أفضل، قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [4].

وتنزيه المواساة عما فيه إضرار بالمحتاجين يظهر في النهي عن المنِّ والأذى، فالمنُّ تطاول على المحتاج وهو كسر لخاطره وإضرار له، والأذى هو إسماعه ما يكره، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الزكاة ، باب الصدقة باليمين ، حديث رقم: ١٤٢٣، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم: ١٠٣١ .

(٢) البقرة: ٢٦٤.

(٣) البقرة: ٢٧١.

(٤) البقرة: ٢٧٤.

(٥) البقرة: ٢٦٤.

عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾[3].

المواساة الجبرية: ومن أمثلتها: الزكاة والنفقات الواجبة، فأما الزكاة فهي صدقة مقدرة وردت مشروعيتها في حديث معاذ بن جبل(رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)بَعَثَه (رَضِيَ الله عَنْهُ) إِلَى اليَمَنِ، فَقَالَ: «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنِّي رَسُولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»[4].

المواساة الاختيارية: وأشهرها في الإسلام الصدقة، وهي من أول ما شرعه الإسلام بمكة، ففي الصحيح عن أبى مسعود الأنصاري(رضي الله عنه) قال: «لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ، كُنَّا نُحَامِلُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُرَائِي، وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ

(١) البقرة: ٢٦٢.

(٢) البقرة: ٢٦٣.

(٣) النساء: ٨.

(٤) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ وُجُوبِ الزَّكَاةِ ، حديث رقم: ١٣٩٥، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين، حديث رقم: ١٩.

صَاعِ هَذَا، فنزلت[1]: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

وختامًا.. فإن سائر أنواع المواساة في الإسلام إنما تبرز التكافل الاجتماعي في أبهى صوره ، وتعد بلا شك ركيزة مهمة للأمن المجتمعي .

*　　*　　*

(١) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة ، حديث رقم : ١٤١٥ .

(٢) التوبة: ٧٩.

من مقومات الأمن المجتمعي وآلياته(*)

منذ خَلْق الإنسان ونشأة المجتمعات البشرية وقضية الأمن المجتمعي للإنسان، هي شغله الشاغل، بل هي رسالة الأديان السماوية، وهي الغاية المعلنة لسائر المذاهب والنظم الوضعية بتطبيقاتها المختلفة المتعددة.

ولقد جمع الإسلام منذ ظهوره بين مختلف مقومات الأمن المجتمعي، وتميز منفردًا بنظرة خاصة بالنسبة لكل منها، فمن ذلك ما يلي:

١ - في مجال الأمن الإيماني: فإن قوامه في الإسلام التوحيد والاعتصام بالله تعالى، مما عبرت عنه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(١).

٢ - وفي مجال الأمن العسكري: فإن قوامه القوة للردع والدفاع، مما عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۝٩٠﴾(٣).

(*) المستشار الدكتور/ محمد شوقي الفنجري (رحمه الله تعالى).

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) الأنفال: ٦٠.

(٣) النساء: ٩٠.

٣- وفي مجال الأمن السياسي: فإن قوامه العدل والشورى يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾(١)، ويقول تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾(٣).

٤- وفي مجال الأمن الاقتصادي: فإن قوامه ضمان «حد الكفاية» لكل فرد، أي المستوى اللائق للمعيشة، فحيازة البعض للمال في الإسلام ليس امتلاكًا وإنما هو أمانة ومسئولية، يقول تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ﴾(٤)، ويقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ (٥)، ويقول تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾(٦)، ومن هذا قول الرسول ﷺ في حق الزكاة وبيان ماهيتها: « فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ »(٧)، وكان علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يقول: « إِنَّ الله

---

(١) النساء: ٥٨.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) الشورى: ٣٨.

(٤) الحديد: ٧.

(٥) المعارج: ٢٤، ٢٥.

(٦) النور: ٣٣.

(٧) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، حديث رقم: ١٣٩٥، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم: ١٩.

فَرَضَ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ فِي أَمْوَالِهِمْ بِقَدْرِ مَا يَكْفِي فُقَرَاءَهُمْ »[1]، ويقول الإمام الماوردي: فيدفع إلى الفقير والمسكين من الزكاة ما يخرج به من اسم الفقر والمسكنة إلى أدنى مراتب الغنى، ويضيف بأن تقدير العطاء معتبر بالكفاية[2].

٥ - وفي مجال الأمن الاجتماعي: فإن قوامه في الإسلام حفظ التوازن بين أفراد المجتمع، يقول تعالى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾[3]، ومؤدى ذلك أنه إذا كان الإسلام يسمح بالتفاوت في توزيع الثروات والدخول تبعًا لاختلاف المواهب والقدرات؛ حيث يعتبر هذا التفاوت ضرورة لخلق الحوافز وتحقيق التعاون ، إلا أنه يرفض بشدة أن يكون هذا التفاوت سببًا مؤديًا إلى تهميش الآخرين أو إلى اغترابهم وإثارة حقدهم؛ بل هو تفاوت منضبط بالقدر الذي يحفز على العمل ويحقق هدفه وهو: التكافؤ والتعاون والتكامل ، لا الاستغلال والصراع والتناقض[4].

(١) معرفة السنن والآثارلأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، كتاب الصدقات ، بَيَانُ أَهْلِ الصَّدَقَاتِ ، حديث رقم ١٣٣٣٩ ، ط جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة) ، الطبعة : الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

(٢) انظر: الأحكام السلطانية : ص ١٢٢ .

(٣) الحشر: ٧.

(٤) انظر: تفصيل ذلك كتابنا المعنون: الإسلام وحفظ التوازن الاقتصادي بين الأفراد ودول العالم ، وهو من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية /سلسلة قضايا إسلامية العدد ١٤٨في يونيو سنة ٢٠٠٧م.

من المعلوم أن هذه المجالات مجتمعة تعد من مقومات الأمن المجتمعي، غير أن الإسلام لم يكتف منذ ظهوره بمجرد الدعوة النظرية أو الوعظية إلى هذه المجالات ، وإنما أوجد من الآليات ما يكفل تحقيقها ، ومن هذه آليات ما يلي:

أولا: مؤسسة الزكاة:

الزكاة ركن من أركان الإسلام بعد الصلاة، وهي مؤسسة الضمان الاجتماعي في الإسلام لمواجهة مشكلة الفقر، وذلك من خلال ضمان «حد الكفاية» أو «تمام الكفاية» لكل مواطن، ومنذ فجر الإسلام وللزكاة كيان مستقل بمواردها ومستحقيها؛ بل والعاملين عليها، وإذا عجزت حصيلة الزكاة بسعرها أو مقاديرها المحددة عن الوفاء بالتزاماتها نحو الفقراء والمحتاجين، أخذ فرع الزكاة احتياجاته من بيت المال بقدر ما يكفي التزاماته ويفي بها.

وتعتبر حرب الخليفة الأول لمانعي الزكاة هي أول حرب في التاريخ تخوضها دولة من أجل الضمان الاجتماعي وحق الفقراء والمحتاجين في أموال الأغنياء القادرين، وقد عبر عن ذلك الإمام ابن حزم في كتابه المحلى بقوله: وفرض الله على الأغنياء في كل بلد بأن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك إذا لم تقم الزكوات بهم[1].

---

(١) المحلى بالآثار لابن حزم: جـ ٤ /ص٢٨١.

فالزكاة ليست مجرد إحسان متروك لاختيار المسلم، وإنما هي فريضة إلزامية تُستَوفَى من المكلفين بها على المستحقين لها، وليس أدل على ذلك من قوله تعالى مخاطبًا الرسول ﷺ: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، وقول الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل (رضي الله عنه) ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنِّي رَسُولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»[2]»، وقوله ﷺ في عقوبة المقصر في أداء الزكاة: «ومَنْ مَنَعها فإنا آخِذُوها وشَطْرَ مالِه، عَزْمةً من عَزَمَاتِ ربنا عزَّ وجل..»[3].

ويذكر أبو عبيد[4] أن والي اليمن بعث إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز بثلث زكوات اليمن، فأنكر عليه ذلك قائلًا له: لم أبعثك جابيًا ولا آخذ جزية، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فترد على فقرائهم ، فرد عليه الوالي: ما بعثت إليك بشيء وأنا أجد أحدًا يأخذه مني ، حتى إن الخليفة

---

(١) التوبة: ١٠٣.

(٢)متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، بَابُ وُجُوبِ الزَّكَاةِ ، حديث رقم: ١٣٩٥ ، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم: ١٩.

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة ، حديث رقم: ١٥٧٥.

(٤) الأموال: ص ٥٩٦.

عمر بن عبد العزيز حين لم يجد فقراء يأخذون الزكاة كان يصرفها في فك الرقاب عتق الرقيق) وفي تزويج الشباب.

ثانيًا: **مؤسسة الوقف**:

يراد بالوقف إخراج المال من ملك صاحبه إلى ملك الله تعالى، أيّ حبس أصل العين والتصدق بريعها لأوجه خير معينة كعون المحتاجين، أو لصالح المساجد والمدارس والمستشفيات وغير ذلك من وجوه الخير، ولا تخرج مختلف تعريفات فقهاء الشريعة الإسلامية للوقف عن أنه: حبس العين على ملك الله تعالى، والتصدق بالمنفعة حالًا أو مآلًا على أي وجه من وجوه البر، وأنه باعتبار أن المال في الإسلام هو مال الله والبشر مستخلفون فيه، وكان جوهر الوقف هو إعادة الأموال والثروات من «الملكية المجازية» للأفراد إلى «الملكية الحقيقية» لله تعالى، فقد انفرد الإمام ابن حزم في كتابه المحلى بتعريف متميز للوقف بأنه ليس كما ذهب البعض بأنه إخراج للمال إلى غير مالك »وإنما هو إخراج إلى أَجَلّ المالكين وهو الله تعالى، ولأن الوقف في جوهره هو صدقة جارية، فإن شأنه كالزكاة هو عبادة مالية وتكفير عن الذنوب.

ويعد الوقف مؤسسة مالية أو تمويلية دائمة، حيث تضمن قيام وفعالية واستمرارية عوائد المال الموقوف لصالح أوجه الخير، ومن ثم اعتمدت مختلف صور العمل الخيري ومختلف الجمعيات الخيرية والمؤسسات الأهلية

على نظام الوقف كمصدر أساس لتمويلها ؛ إذ إن التبرعات والهبات وما يماثلها هي أموال عارضة وغير منتظمة، بحيث قد يتعذر الاعتماد عليها في إقامة مشروعات خيرية طويلة الأمد .

ويعتبر الوقف الخيري منذ نشأته في فجر الإسلام من أهم وأبرز صور تكافل أفراد المجتمع التي انفرد بها الإسلام وأسس لها وذلك في صورة مؤسسية منتظمة ودائمة.

ولا ينكر أحد أهمية دور الوقف في تحقيق تنمية المجتمع وترسيخ الأمن الاجتماعي، وما ينبغي الإشارة إليه هنا هو أن الوقف في تطوره لم يعد مجرد صدقة جارية على الفقراء والمحتاجين، وإنما يمتد اليوم ليكون مع الزكاة كصرح مؤسسي معاون أو مشارك في مواجهة التحديات والمشكلات المستحدثة كالبطالة، وتلوث البيئة، والمساكن العشوائية، وأطفال الشوارع، وغيرها، ويتميز الوقف عن الزكاة والصدقات والتبرعات، بأن له قدرًا من الاستقرار والاستمرار بما يجاوز الحياة الفردية للناس، كما أنه في ذات الوقت يضمن للمؤسسات الاجتماعية التي يمولها ولجهات البر التي ينفق عليها، قدرًا من الاستمرارية والدوام.

ولقيمة وأهمية الوقف، يقول ابن قدامة: لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ ذو مقدرة إلا وقف[1]، فالوقف منذ بدايات عهده هو مما انفرد به الشرع

(١) المغني:جـ٦ /ص ١٨٧.

الإسلامي، وظل متميزًا بأصوله الإسلامية وإقبال الأغنياء وكل قادر عليه، وذلك كعبادة مالية يبتغى بها وجه الله تعالى ورضاه في الدنيا والفوز بجنته في الآخرة .

*   *   *

منابع التقدم في الطب والعلاج وعلاقتها بالأمن المجتمعي(*)

تعد الصحة والدواء والسلامة مع توافر الغذاء والماء من منابع التقدم التي تؤثر بلا شك إن توفرت في تحقيق الأمن المجتمعي، وقد قال (تيودور شولز ، العالم الاقتصادي في كتاب استثمار الإنسان): إن الاستثمار في الإنسان صحة وغذاءً وتعليمًا، يعتبر العائد الإنساني الأعلى والمضمون، وهو مسئولية جماعية.

الصحة والدواء:

مما لا شك فيه أن الطب والتطبيب رسالة إنسانية سلوكية في المقام الأول، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾(1)، كما أن الحفاظ على الصحة حق مقرر لكل إنسان راشد، وكذلك هي واجب مهني ملزم لكل طبيب، فحق الصحة جزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان الاجتماعية (الغذاء - الماء - الكساء - المسكن)، وهو أيضًا أولوية محددة واجبة ضمن أهداف الألفية الثالثة للتنمية الشاملة وما يليها، وذلك في إطار ما ظهر من مستجدات على الساحة منذ النصف الثاني من القرن الماضي، ومن ذلك:

(١) ربط الصحة بحقوق الإنسان في إطار الالتزام بأصول الوقاية والعلاج.

(*) أ.د/إبراهيم جميل بدران (رحمه الله تعالى) ، وزير الصحة سابقًا ، مصر . بتصرف في العنوان .

(١) الشعراء: ٨٠ .

(٢) الاهتمام بالتكوين العلمي والسلوكي لكل القوى البشرية المسئولة عن صحة المواطن واستمرارها.

(٣) تأكيد أهمية العمل وفق أطر استراتيجية وخطط مدروسة بأولويات وبرامج محددة تتوافق مع المستويات العالمية.

(٤) توفير المعلومات عن أبعاد حاكمة لمشكلة الصحة، مثل:

أ- الحمولة والعبء المرضي.

ب- الإدارة الفاعلة في إطار تشريعات ملزمة.

ج - توفير الإنفاق في إطار اقتصاديات علمية.

د - حساب عوائد الإنفاق قدرة وكفاءة.

ومن ثَمَّ ينبغي في المجال الصحي التركيز على عدَّة أبعاد لتحقيق مستويات من الرعاية تسهم بلا شك في تحقيق الأمن المجتمعي، ومن ذلك:

(١) الوقاية ؛ باعتبارها خط دفاع أول ، وذلك من خلال ما يلي: توفير الأمصال والتطعيمات، والرصد والرقابة الوقائية ، والاهتمام بصحة البيئة من توفير الغذاء والماء ، والاهتمام بتعزيز الصحة والتركيز على الحماية من الحوادث والإصابات ومواجهة الكوارث ، وتحديد الأولويات.

(٢) توفير طرق العلاج في إطار منظومة تكافلية اجتماعية، بفلسفة اجتماعية

مدروسة، ومن ذلك: العلاج المجاني للمحتاج ، والتأميني للعامل المؤمن عليه ، والخاص القادر...، في إطار منظومة تكافلية اجتماعية موحدة، تجمع الجميع في منظومة أكبر عادلة ومتكاملة اجتماعيًّا.

(٣) ضمان الرعاية في حالات الإصابات والكوارث: المصانع والحقول، في الطرق ووسائل النقل، في المنازل وأماكن الترويح والملاعب ، وهناك دراسات عميقة متوافرة في تلك المجالات.

(٤) تحقيق وضبط جودة الأداء ورفع مستوى الخدمة للجميع، وذلك من خلال ما يلي: توفير وسائل الرقابة الإدارية والمتابعة العلمية في كافة مستويات الخدمة، وتوفير المتطلبات المالية ، إضافة إلى قضايا استمرار التعلم والتدريب والاحتكاك العملي .

(٥) الاهتمام بتوفير الدواء وإنتاج الخامات الدوائية، وعقد تحالفات إنتاجية وبحثية مع الشركات العالمية المتقدمة.

الأمن الغذائي والمائي:

ومن منابع التقدم أيضًا توفير الأمن الغذائي والمائي ، حيث إنهما قضية أمن قومي جماعي عالمي، ولاسيما وأن العوامل الطبيعية والمتغيرات المناخية الناجمة عن ظاهرة الاحتباس الحراري واحتمال نضوب الطاقة الحفرية أثرت بشكل سلبي على قضية الأمن الغذائي والمائي عالميًّا، وقد تزايد الاهتمام بموضوع الأمن الغذائي منذ عام ١٩٧٤م، وهو عام أزمة الغذاء وانخفاض

مخزون الغذاء الصحي مع مخزون الغذاء العالمي، وارتفعت وفيات الأطفال في بعض مناطق العالم، وهنا ظهرت الدعوة لتبني قضايا الاكتفاء الذاتي من خلال الثورة الخضراء واستخدامها للأصناف الأجود نوعًا والأكثر محصولًا الناتج في مراكز البحوث العالمية .

إن الاكتفاء الغذائي الذاتي له بعد سياسي عميق في تحقيق القوة والاستقلال، وإن كان لا يمكن تحقيق الاكتفاء الغذائي الفردي المستدام نتيجة لتغير الظروف الطبيعية المؤثرة على الإنتاج ؛ فقد نشأ في العالم مفهوم الاكتفاء الجماعي، لتوفير كل الاحتياجات الغذائية الجماعية للعرب من خلال التكامل في الإنتاج الزراعي وفي الصناعات الزراعية خاصة بعد التجاء العالم لاستغلال الزراعة لإنتاج الوقود الحيوي الزراعي من الحبوب ومخاطر ذلك على توفير متطلبات الغذاء وأسعاره.

ومما هو مسلم به أيضًا أن الأمن المائي يعد ركيزة أساسية لتحقيق الأمن المجتمعي، لذا فقد ظهرت في العالم دعوات للحفاظ على الموارد المائية، وذلك من خلال ما يلي:

(١) تطوير النظم المائية وترشيد استخدام الموارد المتاحة والحفاظ عليها كمًّا ونوعًا.

(٢) وضع مخطط متكامل يستوفي الجوانب السياسية والقانونية والفنية التي تكفل تحقيق الاستخدام الأمثل للموارد المائية .

(٣) تطوير الآليات الفنية لإنتاج مياه شرب صحية وآمنة لكل المواطنين.

(٤) تحفيز النشاط الأهلي في مجال الحفاظ على المياه العذبة.

وفي الختام.. فإن منابع التقدم ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالأمن المجتمعي، وللمضي في تحقيق أي منهما ينبغي مراعاة عدة أمور، منها:

أولًا: التكامل الاقتصادي ، وهو قضية حتمية تكفل الاعتماد المتبادل مع القدرة على الإنتاج الغزير المنافس ، وذلك لتوفير المتطلبات المائية والبشرية جماعيًّا وليس انفراديًّا.

ثانيًا: التركيز على تنمية الثروة الزراعية والحيوانية وذلك بدعم التعاون بين مراكز البحوث المحلية والعالمية.

ثالثًا: الحفاظ على المياه وحسن استغلالها.

رابعًا: الحفاظ على سلامة الأرض والمحاصيل والحيوانات الحقلية.

خامسًا: اللجوء إلى أساليب التخطيط الاستراتيجي للاستفادة من المصادر والثروات المتاحة والقوى البشرية المؤهلة في مجالات الأمن الصحي والغذائي والمائي، وما يخدمها من مجالات أخرى.

*   *   *

أسس الأمن في المجتمع(*)

الأمن ضد الخوف؛ وهو اطمئنان الإنسان إلى عدم توقُّع مكروه في الزمن الحالي أو الآتي، أيًّا كان شكل ومصدر هذا المكروه ، فقد يصيب الدين، أو العقل، أو النفس، أو الوطن ، أو العرض ، أو المال ، وقد يصيبها كلها، بيد أن عدم توقع المكروه لا يعني أن الأمن حالة مستقبلية فقط ، ذلك أن من لا أمن له في حاضره ، فلا أمن له في مستقبله ، وإنما تنطلق الثقة في أمن المستقبل من الإحساس الحقيقي بأن أمن الحاضر لا موضع للشك فيه.

وإذا كان الأمن لا ينفصل عن الزمن بحال من الأحوال في الحاضر والمستقبل، فهو أيضًا لا ينفصل عن المكان، ويكفي في هذا المقام أن أهمية اعتبار المكان عاملًا أساسيًّا في الأمن قد يفسر: لماذا ألصق الإسلام صفة الأمن ببعض الأماكن المقدسة: الحرم الآمن، والبلد الآمن .

الأمن نعمة يتمناها ويتوق إليها كل كائن حي ، ومن المعروف أن أمن الإنسان كفرد جزء مهم من أمن المجتمع ؛ إذ إن المجتمع الذي لا يتمتع أفراده بالأمن لا يقوى على مواجهة الأخطار المحيطة به ، بل لا يتمتع بمقومات الحياة، فالأمن عنصر أساسي في حياة الأفراد والشعوب ، ولهذا ورد في القرآن الكريم في معرض الحديث عما أنعم الله تعالى به على الإنسان،

(*) أ.د/ محمد شامة ، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر .

فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[1]، وقال تعالى:﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا﴾[2].

أهم العناصر المؤثرة في تحقيق الأمن للفرد وللمجتمع:

(١) الإيمان بالله تعالى: إن الإيمان بالله تعالى يغرس الاطمئنان في قلب المؤمن، فتهدأ نفسه، وفي هدوء النفس راحة البال واستقرار الحياة ، يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[3]، فالإيمان حصن للفرد من تقلبات الدهر وعواصف الزمن، وركيزة يرتكز عليها في الأوقات العصيبة ، ويركن إليها إذا ادلهمت الخطوب، واضطربت الأنواء ، فهو أمن وأمان للفرد؛ يلجأ إلى المعبود في أوقات الشدة، ويناديه إذا شعر بالخوف، أو أحس بالخطر، ويناجيه إذا ألم به ضرر أو أحاط به ما يعكر عليه صفو حياته.

(٢) تأمين مصادر الرزق: إن مصادر الرزق هي مصدر كرامة الإنسان، وهي قوام الحياة وأساس الاستقرار، فلو نضبت أو أصابها الوهن والضعف، شاع الاضطراب في المجتمع، وتهدمت أركان الحياة الآمنة، ولهذا اهتمت الحكومات بتدبير وسائل العيش لشعوبها، حتى تحافظ على الأمن والاستقرار،

(١) الأنعام : ٨٢.

(٢) النور: ٥٥.

(٣) الرعد : ٢٨.

ومن هنا أطلقوا على هذا العمل مصطلح «الأمن الغذائي» ؛ لأن تحقيقه يسهم إلى حد كبير في نشر الأمن في جنبات المجتمع، ويساعد على وجود الطمأنينة بين الأفراد.

(٣) الحرية: فلا استقرار أو أمن بدون حرية، وقد بين الإسلام أن الله خلق الإنسان ومنحه الحرية في سلوكه وتصرفاته ، بضوابط تستقيم بها حياة الفرد والمجتمع، فلا يجوز لأحد أن يصادر حريته المسئولة، وإلا أعطى لنفسه حقًّا لم يشأ الله تعالى أن يستعمله مع خلقه، وتصدى لطبيعة خلقها الله في الإنسان، وكبت غريزة لا تستقيم حياة الإنسان إلا بها، ولا تصلح النظم الاجتماعية إلا بظهورها، ولا تسير حياة الأمم في مجراها الطبيعي إلا إذا تمتع أفرادها بهذه الحرية المنضبطة المسئولة.

(٤) المساواة: فلا أمن ولا أمان إذا ساد التمييز بين الطبقات في المجتمع على أساس اللون أو العرق أو العقيدة، فالناس سواسية،يقول ﷺ:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى.."[١]، أي أن التفاضل بين الأفراد يجب أن يقوم على أساس القدرات، ويعتمد على ما يبذله الفرد من جهود فكرية أو عضوية، كما أن من الحقوق الطبيعية أن يحصل الإنسان على ما يحتاج إليه مما سخره الله له،

---

(١) مسند أحمد جـ ٣٨ /ص ٤٧٤ ، حديث رقم : ٢٣٤٨٩.

فلا يجوز لأحد أن يحرمه من هذا الحق، مع التأكيد على أنه ليس لفرد أو فئة أن تستأثر بالموارد الطبيعية في المجتمع ظلمًا وعدوانًا بينما تحرم منها فئات أخرى، وليس لإنسان أن يستحوذ دون وجه حق على ما يرفع به مستوى معيشته بينما يحتاج غيره إلى ما يسد به رمقه.

(٥) العدل: وهو أحد مقومات الأمن المجتمعي وسبب من أسباب تحققه، وقد عبر القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا عن وجوب الالتزام بالعدالة، مهما كانت صلة طرف أو آخر بمن يكلف بهذا الأمر، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لله شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(١)، وقد تكررت كلمة العدل والحث عليه في كثير من آيات القرآن الكريم، وما ذاك إلا لأن العدل ركن أساسي ومهم في بناء المجتمعات واستقرارها، بل يساعد استقرار العدل إلى حد كبير في تطورها وازدهارها، وقد روي عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها)، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ الله ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، حِبُّ رَسُولِ الله ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ،

---

(١) المائدة: ٨.

وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[1].

(٦) التعليم: لا شك أن التعليم بمعناه الذي يشمل سائر العلوم من ثقافية ودينية وتربوية وتجريبية... إلخ، من شأنه أن يقاوم الانحراف في المجتمع والفساد في الأرض، فمهمته تقويم السلوك، وتهذيب الأخلاق، وهداية الإنسان إلى فعل ما يعود عليه وعلى المجتمع بالخير العام.

وليس بلازم - طبقًا لتجربة التاريخ الإنساني - أن يقضي العلم على جميع صور الفساد في المجتمعات التي بلغت شأوًا كبيرًا في مجال العلوم والثقافة، ولكنه -على الأقل- يحد منها، أو يقضي على الصور الصارخة فيها، فإذا كان التعليم صالحًا ومبنيًا على أسس سليمة أسهم إلى حد كبير في استقرار المجتمع وأمنه؛ ولهذا تبذل الأمم جهدًا كبيرًا في تثقيف أفرادها وتعليمهم حتى يصبحوا نواة صالحة لبناء مجتمعاتهم؛ ولهذا كانت أول آية نزلت من القرآن الكريم تحث على القراءة والتعلم ، يقول تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2].

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حَدِيثِ الغَارِ، حديث رقم: ٣٤٧٥. وصحيح مسلم ، كتاب الحدود ، بَابُ قَطْعِ السَّارِقِ الشَّرِيفِ وَغَيْرِهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الشَّفَاعَةِ فِي الْحُدُودِ ، حديث رقم : ١٦٨٨ .

(٢) العلق: ١-٥.

(٧) الازدهار الاقتصادي: يقوم النشاط الإنساني في جميع مجالات الحياة على الاقتصاد، وبه تدور عجلة تاريخ الأمم؛ إذ به تقام الحضارات التي يسجلها تاريخ الأمم والشعوب، وعليه تشيد المدنيات التي يفخر أصحابها بتدوينها في صفحات تاريخهم؛ ولهذا ركزت الأديان في كثير من تعاليمها على تنظيم التعامل مع المال الذي هو عصب الاقتصاد، سواء في الحصول عليه، أو في إنفاقه، فجاءت الوصية في الإسلام بأن يلتزم الإنسان بالأمانة في التعامل مع الآخرين، فلا يخدع أحدًا ولا يظلمه، سواء كان بائعًا أو مشتريًا منه، فإن لم يفعل، فسينتظره عقاب أليم في الآخرة، يقول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾ [1]، ويقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[2].

كما حذر القرآن الكريم مَنْ يسيء استخدام المال بالعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ

---

(١) المطففين:١ -٥.

(٢) النساء:٢٩.

وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[1].

ولهذا حث الإسلام على استخدام المال في التنمية لرفع مستوى المعيشة، وكثرة الاستثمارات في المجتمع، إذ يحصل الإنسان في ظل الازدهار الاقتصادي على ما يحتاج إليه؛ فترتاح نفسه، ويطمئن قلبه، وذلك هو الأمن والاطمئنان الذي ينشده الأفراد، وتسعى إليه الأمم.

(٨) البيئة: للإسلام منظور شامل، ومتكامل ومتميز لمفهوم البيئة وقضاياها المختلفة، وطرق التعامل معها وحمايتها، وذلك من خلال ما ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، واجتهادات علماء المسلمين وفقهائهم، وسوف نقتصر على بيان بعض المبادئ العامة في هذا المجال؛ فالأرض بما تحويه من عناصر بيئية مختلفة سخرها الله لننتفع بها، وأمرنا بالحفاظ على خيراتها وعدم الاعتداء عليها بما يدمرها.

فقد نهى النبي ﷺ عن قصد الماء الجاري بالفضلات والمستقذرات والملوثات حفاظًا عليه من التلوث، فقال ﷺ: «لاَ يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي المَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لاَ يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ»[2].

---

(١) التوبة: ٣٤، ٣٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب البَوْلِ فِي المَاءِ الدَّائِمِ، حديث رقم: ٢٣٩.

- كما حث على إزالة المخلفات بما في ذلك القمامة من الطريق، يقول الرسول ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»(١)، ويصدق هذا على كل ما هو أذى أو ما يسببه في مورد من موارد البيئة.

كما بين الإسلام أن من واجبات المسلم إعمار الأرض، والبعد عما يلحق الفساد فيها، يقول تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «لَا يَغْرِسُ الْمُسْلِمُ غَرْسًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ، وَلَا دَابَّةٌ، وَلَا طَيْرٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٣)، وقال ﷺ: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ»(٤)، وقال: «مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ»(٥) أو يكون له ميزة في أولوية تمليكها من الدولة، كما نهى رسول الله ﷺ عن قطع شجرة يستظل بها الإنسان والحيوان، واعتبر ذلك عبثًا وظلمًا،

---

(١) مسند البزار: حديث رقم: ٤٤١٧. صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، بَابُ شُعَبِ الْإِيمَانِ ، حديث رقم:٣٥ .

(٢) هود: ٦١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فَضْلِ الْغَرْسِ وَالزَّرْعِ، حديث رقم: ١٥٥٢.

(٤)سنن الترمذي ، أَبْوَابُ الأَحْكَامِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، بَابُ مَا ذُكِرَ فِي إِحْيَاءِ أَرْضِ الْمَوَاتِ ، حديث رقم : ١٣٧٩ .

(٥) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا، حديث رقم: ٢٣٣٥.

كما في الحديث الذي رواه أبو داود: «مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً فِي فَلَاةٍ يَسْتَظِلُّ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ وَالْبَهَائِمُ عَبَثًا، وَظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا، صَوَّبَ اللهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ»[1].

ومن هذا يتبين أن الحفاظ على البيئة بكل عناصرها من المبادئ الأساسية في الإسلام، فمن يعتدي عليها أو يهمل في تنميتها يعد مفسدًا في الأرض ومهددًا لأمن حياة الإنسان في المجتمع وسلامته؛ لأنه يعرض الحياة كلها بصورة أو بأخرى للخطر.

(٩) الثقافة: إن ثقافة الأمة هي صورتها الحية التي تحدد ملامح شخصيتها، وهي التي تضبط سَيْرها في الحياة وتحدد اتجاهها، ولا شك أن الإسلام هو صاحب الفضل الأول والأساسي في الشكل الثقافي للأمة، فهو يشكل المنطلق والمعايير والغاية التي على ضوئها يتم التعامل مع مفردات الثقافات المختلفة، وفي ذات الوقت هو الدافع الرئيس للنشاط الإنساني في مجال خدمة الأمة أفرادًا ومجتمعات، بما يحقق الأمن لهم جميعًا.

إن الاهتمام بالثقافة ينمي الشعور بالهوية لدى الأفراد، ويحمي المجتمع من التشرذم والانحلال، ويحافظ عليه من استشراء الفساد والعشوائية في أسلوب الحياة، وعلاقة الأفراد بعضهم ببعض، كما تحميه الثقافة بوصفها التهذيب العقلي والتربية النفسية والخلقية والاجتماعية من انتشار اللامبالاة،

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب فِي قَطْعِ السِّدْرِ، حديث رقم: ٥٢٣٩.

والكسل، والإهمال في مجال أنشطة الحياة المختلفة.

(١٠) احترام العقل: لا تؤتي الثقافة ثمارها الإيجابية في أمن المجتمع إلا إذا كانت من إفرازات العقل الذي فضل الله به الإنسان على سائر الكائنات الحية؛ ولهذا جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تحث الإنسان على التفكير في نفسه وفي كيفية خلقه، وتوضح له أن وظيفة العقل هي التفكير، الذي يقود صاحبه إلى الهداية وإلى معرفة الواحد القهار، وإلى الوقوف على أسرار ما حوله من مظاهر الطبيعة ، يقول تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[١]، ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾[٢]، ويقول تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٣].

ولقد وردت في القرآن الكريم مادة عقل) ومشتقاتها اللغوية في عدَّة مواضع ، لحث الإنسان على عدم تعطيل ما أنعم الله به عليه ، فجاءت في أكثر من أربعين آية ، منها قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ

(١) البقرة: ٢١٩.

(٢) الروم: ٨.

(٣) آل عمران: ١٩١.

(٤) البقرة: ٧٣.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2]، ولم يقتصر القرآن الكريم على دعوة الإنسان إلى التفكير في نفسه وفيما حوله وتعقله، بل خطا خطوة أبعد منهما، فحث الإنسان على «التفقه» وهو أبعد مدى من التفكير؛ إذ من يصل إليه يكون أكثر وعيًا لما يحيط به، وأعمق إدراكًا لأبعاد وجوده، كما يجعله منفتح البصيرة دائمًا، وعلى استعداد للحوار البنَّاء، الذي يؤدي إلى نتائج تعود بالنفع عليه في جميع مجالات حياته، حيث ترفرف عليه أجنحة الأمن والأمان في حاضره ومستقبله.

وختامًا .. فإن أسس الأمن في المجتمع كثيرة ومتشعبة تشعب الحياة الإنسانية ، وقد اقتصرنا في العرض على أهمها وأبلغها أثرًا في حياة الفرد والجماعة ، فإذا أردنا إصلاح الفرد والمجتمع، فيجب علينا أن نعني أولًا بغرس الإيمان في نفوس الأفراد ، وتقوية العلاقة بينهم وبين الله تعالى حتى يكون ذلك حارسًا يمنعهم من الانحراف ، ثم نبين لهم وظيفة العقل في

---

(١) الأنعام: ١٥١.

(٢) البقرة: ١٦٤.

الحياة ، فلا تناقض بينه وبين الإيمان ، فبواسطته يتوصل الإنسان إلى معرفة الله، وبه يفهم ما يلقى عليه من أوامره ونواهيه ، كما أنه يساعد الإنسان على التفكر، والتدبر، والبحث ، والإبداع كي يبني حياة طيبة لنفسه ولأمته، أما الثقافة فهي لتهذيب السلوك وتقويمه ، حتى لا ينحرف الإنسان إلى ما يدمر حياته، أو يهدد أمنه واستقراره.

*　　*　　*

نحو لغة جديدة للحوار
لتدعيم الأمن المجتمعي(*)

إن مقومات الأمن المجتمعي في الإسلام متعددة الجوانب، ومن هذه الجوانب لغة الحوار مع الآخر، حيث طالب الله تعالى المسلمين أن يتعاملوا بالحسنى مع الآخر، وطالبهم أيضًا أن يتعاملوا مع أصحاب الأديان الأخرى بأسلوب يبعدنا عن الصدام والكراهية والبغضاء، وما دمنا نتكلم عن التعامل مع الآخر فنحن بلغة العصر مطالبون بممارسة لغة الحوار وتفعيلها لمواجهة الثقافات الأخرى، وبيان حقائق الإسلام الناصعة الداعية إلى السلام والأمن والتنمية والعمران.

وما من شك في أن لغة الحوار هي الجسر المتصل بين الثقافات، والمعبِّر الحقيقي عنها؛ لذا كان لزامًا علينا أن نسعى لتجديد لغة الحوار بما يتسق والتطور الثقافي والمعرفي ، وفي إطار المحافظة على الثوابت .

الخطوط العريضة لفكرة اللغة الجديدة للحوار:

١. نقل لغة الحوار من النخبة إلى القاعدة العريضة من الجماهير.
٢. الاهتمام بالتبادل والتعاون الثقافي بين الشعوب ، فإن الجهل الثقافي لكل منا بالآخر ومن باب أولى الجهل والأمية يؤديان إلى مواجهات

(*) أ.د/ علي السمان (رحمه الله تعالى)، رئيس الاتحاد الدولي لحوار الثقافات والأديان سابقًا ، مصر.

وصراعات، إذن فلا فصل لحوار الأديان عن تبادل الثقافات بين الشعوب.

٣. بناء جسور الثقة بين أتباع جميع الأديان السماوية حتى نتفادى سلبية الحوار، أو عدم جدواه.

٤. عقد مائدة مستديرة للعقلاء من خبراء الإعلام في الغرب ومثلهم من الدول الإسلامية، وذلك لبحث آفاق حرية الرأي والتعبير التي تحمي حق الآخرين في احترام معتقداتهم ورموزهم.

وختامًا .. فإنه من المؤكد أنه لا يوجد صراع بين الرسلات السماوية، فالشرائع السماوية جميعها تدعو إلى الخير والحق والعدل، واحترام الآخر وإن اختلف لونه أو دينه أو عرقه ، ولكن الصراع هو صراع جماعات متطرفة تأخذ الأديان رهينة بين أيديها لتسخرها لصالح السيطرة والهدم .

*　　*　　*

فهرس الموضوعات

*　　　*　　　*



الناشر / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الترقيم الدولى : ٠-٤٦٤-٢٠٥-٩٧٧-٩٧٨

رقم الإيداع : ٢٠٢١/٢٥٤٢٣